



سد النهضة من تهديد محتمل لواقع خطير

بعد انتهاء حرب غزة .. مستقبل الصراع مع إسرائيل

شبكة قواعد للإمارات فى خدمة مخابرات الاحتلال

وكيل جهاز المخابرات العامة السابق: مخططات التهجير لا تزال قائمة ونواجهها

قال اللواء محمد إبراهيم الدويرى وكيل جهاز المخابرات العامة السابق إن عملية طوفان الاقصى خلطت أوراقا كثيرة فى المنطقة وفى اجتماعات مع قيادات حماس وبينهم إسماعيل هنية رحمة الله عليه و خليل الحية تساءلت: لماذا هذه العملية؟ فمن وجهة نظرى أن المقاومة وسيلة لتحقيق أهداف معينة وليست هدفا فى حد ذاتها، لكن للأسف الشديد ومع كل الاحترام والتقدير للشهداء، حينما نقيم الأمور سنجد أن القضية الفلسطينية تراجعت إلى الوراء كثيرا وأصبحت قضية انسانية أما الحل السياسى فقد ابتعد تماما.

وتساءل الدويرى فى برنامج «الجلسة سرية» الذى يقدمه الإعلامى سمير عمر على شاشة «القاهرة الإخبارية»: أين حل الدولتين؟ الضفة الغربية تتقلص، والسيادة الاسرائيلية ستفرض على ٣٠% منها خاصة منطقة غور الأردن وقطاع غزة دمر بالكامل (كما أن فكرة التهجير لازالت قائمة فى الذهن الأمريكى والاسرائيلى والمخططات الأمريكية الإسرائيلية فى تهجير سكان غزة إلى سيناء لازالت قائمة، وعلينا أن نواجهها بكل ما نملك من وسائل) وبالتالى فكرة حل الدولتين ابتعدت والقضية الفلسطينية تعود الى السطح نعم لكن فى الشق الانساني. لا أحد يتحدث عن الدولة الفلسطينية، الكل يتحدث اليوم عن مساعدات انسانية.

وسأل سمير عمر مقدم البرنامج: برأيك، هل كانت ٧ أكتوبر عملية مقاومة صحيحة ام تراها مغامرة أدخلت الجميع فى هذا النفق المظلم؟

أجاب الدويري: عملية طوفان الأقصى كانت عملية نوعية غير مسبوقة ولكن غير محسوبة.. والرد الاسرائيلى كان نوعيا غير مسبوق ولكنه محسوب.. اليوم غزة دمرت. وما أعلمه أن مصر لم تكن تعلم بهذا الأمر على الإطلاق، حتى قيادة حماس فى الخارج لم تكن تعلم بهذا الامر. وقيادة الداخل أصبحت هى صاحبة القرار الرئيسى وليس قيادة الخارج، منذ خطف شاليط وفوز حماس فى الانتخابات أصبحت قيادة الداخل هى المسيطرة على القرار. لذلك فى أى مفاوضات الآن يأخذ قادة الخارج الاقتراحات ثم يعرضونها على قيادات الداخل ليدرسوا ويقرروا، وحركة حماس فى عهد يحيى السنوار كانت تختلف عما سبقها.

وردا على سؤال هل التقيت يحيى السنوار ومحمد الضيف ؟ أجاب نعم أثناء صفقة شاليط كان يحيى السنوار وروحى مشتهى أول اسمين فى القائمة، ثم مرة أو مرتين بعدها وكانت عقليته مختلفة عن عقلية من سبقه. ولو عاد الزمن بحركة حماس من المؤكد أنها كانت ستعيد النظر فى عملية طوفان الأقصى ولن تقوم بها. لأن النتائج لم تكن تتوقعها بهذا الشكل، فلها نتائج كارثية على حماس نفسها، على قدراتها العسكرية وقياداتها السياسية.

وعن حركة الجهاد الإسلامى قال اللواء الدويري: إنها حركة وطنية لها رؤيتها الخاصة القائمة على عدم الاعتراف بإسرائيل ولا التسويه السياسية ولكن ليس لها أجندة سياسية. والحق يقال أنه لم يحسب على حركة الجهاد الاسلامى فى يوم من الأيام أنها كانت عقبة او حجر عثرة فى طريق المصالحة الفلسطينية. بل كانت متوافقة تماما مع الموقف المصرى فيما يتعلق بموضوع المصالحة وإنهاء الانقسام.



نواجه قطارا أعمى لن يترك دولة عربية .. وعلينا كعرب أن نجيب على سؤال: أمننا القومى أين؟

لو عاد الزمن بحركة حماس ما نفذت «طوفان الأقصى» لنتائجها الكارثية حتى على حماس نفسها

وعن طرح موضوع المصالحة الفلسطينية بعد عامين من الحرب الإسرائيلية الوحشية على قطاع غزة قال وكيل جهاز المخابرات العامة السابق: أعتقد أن الأولويات اختلفت تماما، نحن نحارب الآن من أجل وقف الحرب من أجل إنهاء قضية تبادل الأسرى، من أجل انسحاب اسرائيل والأولوية لترتيبات اليوم التالى فى قطاع غزة.

المهم متى تنتهى الحرب؟ ما شكل الوضع فى اليوم التالي؟ ما موقف حركة حماس؟ ما موقف التهجير لسيناء؟ وأنا متأكد أن القيادة السياسية تعى تماما هذا الأمر ويجب ألا نسقط موضوع التهجير من أجندتنا ونحن مستعدون له جيدا، نحن معنيون بإنقاذ غزة.

وردا على سؤال: كيف ننقذها فى ظل حكومة إسرائيلية متطرفة تخوض حربا وحشية ضد أبناء الشعب الفلسطيني؟ قال اللواء محمد إبراهيم الدويري: طبعا نحن نتعامل مع أسوأ وأعنف وأشرس حكومة فى تاريخ إسرائيل، سبق أن تعاملنا مع حكومة شارون ومع حكومة بيجين ولكن لم نتعامل مسبقا مع مجموعة متطرفة برئاسة إرهابى كبير وعضوية إرهابيين آخرين بهذا الشكل لكن نؤدى ما علينا، نتواصل مع جميع الأطراف اقليمية ودولية، عرضنا خطة إعمار مصرية عربية متكاملة لإعمار بوجود السكان، نعارض فيها الموقف الأمريكى من أعمار غزة بدون سكان. علينا أن نضغط ونتحرك ونسوق مواقفنا قدر الامكان لمواجهة هذا القطار الأعمى الذى يسير فى المنطقة، وعلينا أن نعلم كعرب، أمننا القومى أين؟ ونعلم أن القطار الاعمى الذى يسير لن يترك دولة، علينا أن نتصدى لهذا التيار الجارف اللى قد يأتى على حساب كل الدول العربية.

كتبت – هيباتيا موسى

جريدة أسبوعية – تصدر عن
مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

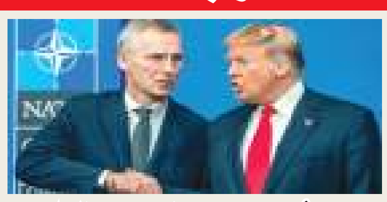
رئيس التحرير
مجدى شندى

الموقع الالكترونى
www.elmashhad.online

العدد الـ 342 - السنة الرابعة عشر
الإثنين ٦ أكتوبر 2025 م -
14 ربيع الثانى 1447هـ
12 صفحة - الثمن : 5 جنيهات

المشهد
لا سقف للحرية

ترجمات



ترامب أوصل الناتو حافة الانهيار

09-08

حوار



هل كان الحكيم قريبا من نوبل

10

الستة الكبار .. لغم فى مفاوضات شرم الشيخ قد ينسف خطة ترامب



ذكرت القناة ١٢ الإسرائيلية نقلاً عن مصادر فى حماس، أن الحركة تشترط أن يكون ستة رموز فلسطينية من بين المسجونين الذين سيتم مبادلتهم بالرهائن الإسرائيليين.

على رأس هؤلاء الرموز مروان البرغوثي، الذى يقضى خمسة أحكام بالسجن المؤبد، وأحمد سعدات، زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الذى حُكم عليه عام ٢٠٠٨ بالسجن ٣٠ عامًا بتهمة التخطيط لاغتيال وزير السياحة الإسرائيلى رحبعام زئيفى عام ٢٠٠١، وإبراهيم حامد قائد حماس فى الضفة الغربية خلال الإنتفاضة الثانية، الذى يقضى ٤٥ حكما بالسجن مدى الحياة، وعباس السيد، المتهم بالتخطيط لتفجير فندق بارك فى نتانيا عام ٢٠٠٢ والذى قتل فيه ٣٩ إسرائيليا، وحسن سلامة من حماس، الذى يقضى ٤٨ حكماً بالسجن مدى الحياة.

وقال مصدر فى حماس إن الحركة «لن تتنازل» عن إطلاق سراح هؤلاء وغيرهم من الرموز المحكومين بالسجن المؤبد، «حتى لو أدى ذلك إلى إفشال الصفقة».

ويوجد حاليًا ٣٠٣ سجناء أمنيين يقضون أحكامًا بالسجن المؤبد فى إسرائيل.

وفى تقرير منفصل غير موثق، قالت القناة إن الحركة تطالب أيضا بإطلاق سراح المعتقلين من قوة النخبة التابعة لها، الذين شاركوا فى هجوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ .

وترفض إسرائيل الإفراج عنهم وعن أى من الرموز المشار إليهم وتعهد نتنياهو بذلك لبن غفير وسموتريتش.

لكن وزير الزراعة آفى ديختر – وهو وزير فى الحكومة ورئيس سابق لجهاز الشاباك– بدا وكأنه يُلمح إلى استعداد إسرائيل للإفراج عن المعتقلين الرموز، لكنه أثار شكوكا بشأن إطلاق سراح المشاركين فى هجوم ٧ أكتوبر.

وأشار ديختر إلى أن إسرائيل أطلقت فى الماضى سراح بعض من أشهر الرموز، بمن فيهم مؤسس حركة حماس، الشيخ أحمد ياسين، الذى أفرج عنه مرتين فى صفقات. ففى عام ١٩٨٥، بادلته إسرائيل مع ١١٥٠ سجينًا أمنيًا آخرين بثلاثة جنود إسرائيليين أسرى. وأعيد اعتقاله لاحقًا. وفى عام ١٩٩٧، أطلق سراحه فى صفقة تبادل مقابل ضابطى موساد أسرا فى الأردن أثناء محاولتهما اغتيال خالد مشعل.

وقال ديختر: عندما اغتيل ياسين فى غارة جوية لطائرة هليكوبتر تابعة لسلاح الجو الإسرائيلى عام ٢٠٠٤: «لقد جلبته إلى السجن مرتين، ومرة إلى نهاية حياته».

وأضاف ديختر أنه على الرغم من وجود سابقة لإطلاق سراح الرموز المدانين، إلا أن المشاركين فى هجوم ٧ أكتوبر لم يُحاكموا بعد. واعتبر «إنها قصة مختلفة».

وبحسب مصادر حماس التى نقلت عنها القناة ١٢، فإنها تطالب أيضًا بضمانات بانسحاب كامل للجيش الإسرائيلى من غزة فى نهاية المطاف، مع جدول زمني، وأن يكون الانسحاب الأولى للجيش الإسرائيلى أكبر من الانسحاب الموضح فى الخريطة التى نشرها ترامب يوم الأحد ٥ اكتوبر. وقيل إن حماس تطالب بالانسحاب إلى الخطوط التى انتشر فيها الجيش الإسرائيلى فى يناير خلال وقف إطلاق النار الأخير.

من جانبه أكد وزير الخارجية ومستشار الأمن القومى الأمريكى ماركو روبيو إن المحادثات التى تجرى فى مصر تتعلق باللوجستيات المتعلقة بإطلاق سراح الرهائن الإسرائيليين. وكيف سيتوقف القتال؟ من سيدخل لأخذهم؟ متى سيتم إطلاق سراحهم؟ أين سيتم استلامهم؟ بعدما وافقوا على الإطار العام لها. ثم هناك المرحلة الثانية بعد ذلك، وهى ما يحدث بعد ذلك، وهو كيف نضمن أن نتمكن من إنشاء وتساعد فى بناء غزة خالية من الإرهاب، خالية من حماس، خالية من أى شيء يشبه حماس، وهذا سيستغرق جهداً ووقتًا ليس فقط للاتفاق عليه بل لتنفيذه، وهذا مهم لأن هذا هو ما سيؤدى إلى إنهاء هذه الأعمال العدائية على المدى الطويل.

أضاف روبيو: ولكن الآن المرحلة الأكثر إلحاحًا وفورية هى تلك التى تدعى حماس أنها وافقت عليها بالفعل، وهى أنهم مستعدون لإطلاق سراح الرهائن، فلنناقش من خلال الوسطاء اللوجستيات والآليات وراء كيفية حدوث ذلك، ويجب أن يحدث ذلك بسرعة كبيرة، لا يمكن أن يطول ذلك.

وأوضح روبيو بالقول: «الواقع هو أن هذه منطقة حرب. أعني، هذا مكان عانى من دمار هائل. يجب أن يتوقف القتال. لا يمكن إطلاق سراح الرهائن بينما لا تزال القصف مستمرًا. لكن فى الوقت نفسه، لا يمكن أن يستمر ذلك، لذا يجب أن يتوقف. لكن يجب أيضًا العمل على اللوجستيات الأخرى. من سيذهب لاستلامهم؟ لقد رأينا كيف حدث هذا فى الماضي. الصليب الأحمر كان يدخل، يتم تسليمهم من خلال هذه العملية، إلخ. لذا، هذا ما يجب العمل عليه ويتم العمل عليه الآن. لذا، لا أقول إنه لا توجد بعض العقبات اللوجستية هنا، لكننى أقول إن التوقع هو أن يحدث هذا بسرعة. وإذا كان هناك خمسة جاهزون للخروج الآن، يجب إطلاق سراحهم الآن. وإذا كان هناك ١٠ آخرون جاهزون للخروج بعد ١٢ ساعة، يجب أن تخرج المجموعة التالية. لكن فى النهاية، يجب أن يخرج الجميع.

تعطل ماكينات الصرف الآلي.. أزمة شهرية تتجدد وتثقل كاهل المواطنين



مع بداية كل شهر، ومع نزول المرتبات والمعاشات، يتكرر مشهد مأساوى أمام ماكينات الصرف الآلى المنتشرة فى الشوارع والميادين: طوابير طويلة، أعصاب مشدودة، وماكينات متوقفة عن العمل أو فارغة من النقد، لتتحول التكنولوجيا التى كان من المفترض أن تسهّل حياة الناس، إلى عبء جديد يضاعف معاناتهم.

المواطنون من مختلف الأعمار، رجالا ونساءً، كبارًا فى السن وموظفين، يقفون بالساعات تحت أشعة الشمس أو فى برودة الليل القارس، فى انتظار «معجزة» تشغيل الماكينات أو تغذيتها بالأموال. ولكن غالبًا ما يخرجون بخفى حنين، بعد أن يكتشفوا أن ماكينة البنك التى قصدها العشرات لا تعمل أو أن رصيدها قد نفد بالفعل.

«البهدلة بقت عادة»

يقول محمود عبد الحميد، موظف حكومي، إنه يقضى أحيانًا أكثر من ثلاث ساعات فى محاولة صرف راتبه، متنقلًا من ماكينة لأخرى داخل المدينة دون جدوى، مضيفًا بلهجة غاضبة: «معقول كل شهر نفس القصة؟ مفيش صيانة ولا متابعة؟ ليه الناس لازم تتبهدل عشان تصرف حقها؟»

أما الحاجة أمينة، وهى سيدة ستينية تتقاضى معاشها من إحدى ماكينات البنوك، فتؤكد أن الأمر تحول إلى كابوس: «نقف فى الطوابير بالساعات، وبعدين بيجوا يقولوا الماكينة مش شغالة أو مفيش فلوس. طب إحنا نعمل إيه؟»

أزمة إدارية قبل أن تكون تقنية

ويرى خبراء أن المشكلة لا تكمن فقط فى الأعطال المفاجئة للماكينات، بل فى غياب التخطيط المسبق لتأمين السيولة النقدية الكافية مع بداية كل شهر، حيث تتزايد عمليات السحب بشكل ملحوظ. كما أن ضعف الصيانة الدورية وترك الماكينات تتعطل دون سرعة استجابة، يزيد الوضع سوءًا.

المواطنون يطالبون البنوك المعنية بعدة خطوات عاجلة:

تكثيف أعمال الصيانة الدورية قبل بداية كل شهر.
تغذية الماكينات بالنقد الكافى طوال فترة صرف المرتبات والمعاشات. زيادة أعداد الماكينات خصوصًا فى القرى والمراكز المزدحمة.
توفير فرق فنية متنقلة للتعامل مع الأعطال المفاجئة فى وقت قصير.

مناشدة لمن يهمه الأمر

الأزمة تتجدد كل شهر، والناس تعانى فى صمت. فهل تتحرك الجهات المعنية لإنهاء هذه البهدلة؟ هل يُعقل أن تظل التكنولوجيا التى يفترض أنها جاءت للتيسير، سببًا رئيسيًا فى معاناة البسطاء؟

النداء موجه إلى البنوك المركزية والفروع المحلية: إما أن تتم إدارة هذه المنظومة بكفاءة ورحمة، أو أن يعود الصرف اليدوى كما كان فى السابق، طالما أن التطور لم يحقق الغرض منه، بل زاد من أوجاع الناس.

تقرير - أحمد صلاح سلمان

المهندس سامح طلعت محمد العضو المنتدب التنفيذى لشركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»:

الشركة حققت فائضا قدره 987 مليون جنيه رغم التحديات

صادرات «كيما» بلغت 131.157 مليون دولار فى 2025/2024



أكد المهندس سامح طلعت محمد، العضو المنتدب التنفيذى لشركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»، إحدى الشركات التابعة للشركة القابضة للصناعات الكيماوية، أن الشركة تواصل مسيرة نجاحاتها منذ إنشائها باعتبارها ركيزة أساسية فى قطاع الصناعات الكيماوية بمصر، حيث أسهمت على مدار السنوات فى دعم الاقتصاد القومي، وتوفير فرص العمل، والمساهمة فى خطط التنمية المستدامة، فضلًا عن دورها المحورى فى تلبية احتياجات السوق المحلى من الأسمدة وتصدير الفائض للأسواق العالمية.

قال المهندس سامح طلعت إن تقرير نتائج أعمال شركة «كيما» عن العام المالى ٢٠٢٤/٢٠٢٥ يعكس مؤشرات إيجابية رغم التحديات. وأوضح أن بند مبيعات حامض النيتريك بلغ خلال العام نحو ١٦٥ مليون جنيه.

وأضاف أن قيمة الصادرات للعام الحالى سجلت ١٣١,١٥٧ مليون دولار بما يعادل ٦,٦٠٩ مليار جنيه مقابل ١٣٤,٢٩٤ مليون دولار بما يعادل ٤,٧٩٩,٠٥ مليار جنيه العام السابق، بنسبة تطور ١٣٨%، مع استهداف الوصول إلى ٧,٢٧٤ مليار جنيه. وبيّن أن كمية صادرات سماد اليوريا بلغت ٣٤٠,١٧٤ ألف طن خلال العام الحالى مقابل ٣٨٠,١٦٦ ألف طن فى العام السابق بنسبة تطور ٩٠%، فيما تستهدف الشركة الوصول إلى ٣٥٧ ألف طن.

وأشار سامح طلعت إلى أن إجمالى الأجور ارتفع ليصل إلى ٣٩٧ مليون جنيه مقابل ٣٠٤ مليون جنيه العام السابق، بينما كان المستهدف ٤٠٥ مليون جنيه.

وأوضح أن الشركة سجلت عدد ساعات آمنة بلغ ٢٦,١٤٨,٢٠٠ ساعة حتى ٢٠٢٠/٩/٣٠، فيما حقق المقاولون ٦٨٩,٠٠٠ ساعة حتى ٢٠٢٠/٩/٢٠. وبيّن أن الإصابات خلال العام ٢٠٢٤/٢٠٢٥ بلغت ٣ إصابات خفيفة + إصابة طريق واحدة.

وأكد سامح طلعت أن الشركة توفر جميع مهمات الوقاية الشخصية للعاملين، سواء الخوذة أو الحذاء أو الأفرول، وتلتزم بالاشتراطات الخاصة بتصاريح العمل لتأمين بيئة العمل. كما يتم تنظيم دورات تدريبية أسبوعية حول موضوعات متعلقة بالعمل مثل: العمل على الارتفاعات، العمل فى الأماكن المغلقة، القيادة الآمنة، ونظام العزل.

وأوضح أنه يتم تدريب ٢٥% من إجمالى العمالة سنويًا (حوالى ٤٥٠ عاملا) على أعمال الإطفاء بإدارة الحماية المدنية، إضافة إلى تدريب ٣٠ عاملا أسبوعيًا على متطلبات تأمين بيئة العمل.





كشف سامح طلعت أن الأصول المتداولة بلغت ٦,٠٨٨ مليار جنيه مقابل ٥,٥٧٧ مليار جنيه العام السابق بنسبة تطور ١٠٩%. وأوضح أن قيمة المخزون بلغت فى ٢٠٢٥/٦/٣٠ نحو ٢٤٠٠مليون جنيه مقابل ١٦١٥مليون جنيه العام السابق.

مخزن قطع الغيار: سجل ١١٨٢مليون جنيه مقابل ٨١٦ مليون جنيه للعام السابق.

مخزون الإنتاج التام: سجل ١٤٨ مليون جنيه مقابل ٨٣ مليون جنيه، ويتمثل معظمه فى الأسمدة.

وأضاف أن حجم الاستثمارات طويلة الأجل فى الأوراق المالية بلغ ٢١٦٦ مليون جنيه فى ٢٠٢٥/٦/٣٠ منها ٢١٦٣ مليون جنيه مساهمة فى شركتى أبو قير

للأسمدة والدلتا للسكر، إلى جانب ٢,٣٠٧ مليون جنيه احتياطى بسندات حكومية. وأكد أن هذه الاستثمارات حققت عائدًا قدره ٢٨٧ مليون جنيه مقابل ٢٨٤ مليون جنيه العام السابق.

وبيّن أن الفائض خلال العام الحالى بلغ ٩٨٧ مليون جنيه مقابل ٢٥٣٨مليون جنيه فائضًا العام السابق، فيما كان المستهدف ١٣٦٣مليون جنيه بالموازنة .

شدد سامح طلعت على أن شركة «كيما» تساهم بفاعلية فى دعم الاقتصاد الوطنى من خلال: التخلص من أعباء استيراد الأسمدة، توفير عملة أجنبية عبر التصدير، توفير فرص عمل لنحو ٢٠٠٠ عامل مع مساكن متكاملة لهم.

أكد سامح طلعت أن الشركة تنفذ مشروعات بيئية متطورة منها تركيب وحدة حامض جديدة بطاقة إنتاجية ٦٠٠ طن/يوم، ووحدة تعادل ووحدة تحبيب جديدة لمضاعفة إنتاج نترات الأمونيوم إلى ٢٦٤ ألف طن/عام، مشيرًا إلى أن «كيما» حصلت على شهادة الأيزو ١٤٠٠١/٢٠٠٤.

وأوضح سامح طلعت أن «كيما» ساهمت فى المجتمع المدنى بعدة مشروعات منها: تخصيص أراض لمحطات رفع صرف صحى بأسوان، إنشاء جمعيات تعاونية ومساكن للعاملين، مشروعات إسكان متعددة (النزهة- المندرة القبلية- تمليك أسوان ١ و٢- امتداد أسوان ٢ بإجمالى مئات الوحدات السكنية)، إنشاء دارَى حضانة، مخبز كبير، مجمع استهلاكي، مركز إسلامي، مدارس داخل المدينة السكنية، ناد رياضي، مركز تدريب، إلى جانب تبرعات للمجتمع المدنى بلغت ١٣٧ ألف جنيه خلال ٢٠٢٤/٢٠٢٥.

واختتم سامح طلعت بالتأكيد أن «كيما» أصبحت الممول الاقتصادى الرئيسى لمدينة أسوان بما تضخه من مرتبات وأرباح سنوية تتجاوز ٣٦٠ مليون جنيه، فضلًا عن التعاقدات والشراء المحلى التى تنعش السوق التجارى والخدمى بالمدينة.

وكشف سامح طلعت أن الجمعية العمومية لشركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» انعقدت لمناقشة واعتماد نتائج الأعمال عن العام المالى ٢٠٢٤/٢٠٢٥، وذلك برئاسة الكيميائى سعد أبو المعاطي، رئيس الشركة القابضة للصناعات الكيماوية ورئيس الجمعية، وبحضور الكيميائى سعد هلال، العضو المنتدب التنفيذى للشركة القابضة للصناعات الكيماوية، والمحاسب محمود منتصر رئيس الشركة، إلى جانب المساهمين وأعضاء الجهاز المركزى للمحاسبات.

واستعرض المهندس سامح طلعت، العضو المنتدب التنفيذى لشركة كيما، أبرز مؤشرات الأداء والنتائج المحققة، حيث أكد أن الشركة نجحت فى تحقيق قفزة كبيرة بمجمل الربح ليصل إلى ٣٣٠٢ مليون جنيه مقابل ٢١٣٦ مليون جنيه العام السابق، بزيادة قدرها ٥٤,٦%، كما تجاوز المستهدف البالغ ٣,٠٠٨ مليار جنيه بنسبة نمو بلغت ٩,٨%.

وأشار طلعت إلى أن صافى الربح سجل ٩٨٧ مليون جنيه عن العام المالى المنتهى فى ٣٠ يونيو ٢٠٢٥، رغم التحديات التى واجهت الشركة. كما أوضح أن قيمة

الإنتاج بسعر البيع ارتفع إلى ٨,٦٨٤ مليار جنيه خلال ٢٠٢٤/٢٠٢٥ مقابل ٥,٩٣٦ مليار جنيه العام السابق بنسبة زيادة قدرها ٤٦,٣%، وهو ما انعكس على الإيرادات التى بلغت ٩,٥ مليار جنيه، وهى الأعلى فى تاريخ الشركة.

قالت العرب

شبيه الشيء منجذب إليه***وأشبهنا بدنيانا الطعام

وما أنا منهم بالعيش راض***ولكن معدان الذهب الرغام

المتنبي

المشهد

العدد 342 - السنة الرابعة عشر_ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

نائب وزير الصحة لـ«المشهد»:

الزواج المبكر خطر يهدد صحة المجتمع.. والإعلام شريك فى المواجهة

لا يزال ملف الزواج المبكر وزواج الأطفال أحد القضايا الساخنة التى تؤرق المجتمع المصري، ليس فقط لارتباطه بظاهرة اجتماعية ممتدة منذ عقود، بل لما يترتب عليه من انعكاسات صحية خطيرة تمس مستقبل الأجيال القادمة.

وفى هذا السياق، شددت الدكتورة عبلة الألفي، نائب وزير الصحة والسكان لشؤون مبادرات الصحة العامة، على أن زواج القاصرات يعد جريمة فى حق الفتيات والأطفال، معتبرة أنه «قنبلة موقوتة» تفرز مشكلات صحية واجتماعية واقتصادية جسيمة.



زواج الأطفال.. مخاطر صحية ومجتمعية

أكدت الألفى خلال تصريحات لـ«المشهد» أن الزواج المبكر يؤدى فى كثير من الحالات إلى الولادات المبكرة وما يترتب عليها من ارتفاع نسب إصابة الأطفال بالالتهاب الرئوى والتشوهات الخلقية، فضلا عن زيادة نسب وفيات الأمهات وصعوبة متابعة الحمل فى سن صغيرة.

وأضافت أن الفتاة القاصر التى تُجبر على الزواج تفقد حقها الطبيعى فى التعليم والنمو النفسى والاجتماعي، لتتحول سريعًا إلى «أم طفلة» لا تمتلك الخبرة أو الجاهزية لتحمل مسؤولية أسرة، مما ينعكس بالسلب على الاستقرار الأسرى والمجتمع بأسره.

الفحوصات قبل الزواج.. ضرورة لا رفاهية

وخلال مشاركتها فى ورشة عمل بعنوان «الصحافة الطبية»، أوضحت نائب الوزير أن الفحوصات الطبية قبل الزواج لم تعد مجرد اختيار، بل هى ضرورة لحماية الزوجين وأطفالهما من الأمراض الوراثية والمعدية، ولضمان بداية حياة أسرية سليمة.

كما دعت الألفى الشباب المقبلين على الزواج إلى عدم الاستعجال فى الحمل، موضحة أن تأجيل الإنجاب لمدة عام واحد على الأقل بعد الزواج يمنح الزوجين فرصة للتأقلم النفسى والاجتماعي، ويتيح الاستعداد الجيد لبناء أسرة أكثر استقرارًا.

وسائل تنظيم الأسرة.. آمنة ومتاحة

وفيما يتعلق بوسائل تنظيم الأسرة، أكدت نائب الوزير أنها آمنة وفعّالة ومتوفرة فى جميع الوحدات الصحية بالمجان، داعية الأزواج إلى كسر حاجز الخوف والاعتماد على هذه الوسائل لما لها من دور كبير فى تقليل المخاطر الصحية وتحقيق التوازن الأسري.

الإعلام.. شريك أساسى فى التنوير

وفى خطوة لافتة للتواصل مع الإعلاميين، قامت الدكتورة عبلة الألفى بتوجيه مكتبها لانشاء مجموعة عبر تطبيق واتس آب تجمع صحفيى ملف الصحة، لتكون قناة مباشرة لتبادل المعلومات، وتقديم الردود العلمية السريعة على تساؤلاتهم، بما يضمن نقل الوعى الصحيح إلى المواطنين.

وخلال حديثها، أكدت الألفى تقديرها الكبير لدور الصحافة والإعلام فى نشر الوعى الصحي، قائلة: «الصحفى شريك أساسى فى التنوير المجتمعي، والكلمة الصادقة قد تنقذ حياة أو تغيّر سلوكا».

مواجهة مشتركة

وبينما تعمل وزارة الصحة على إطلاق مبادرات متعددة لمواجهة الزواج المبكر وزيادة الوعى الصحي، ترى الألفى أن الرهان الحقيقى يكمن فى التعاون بين المؤسسات الحكومية والإعلام والمجتمع المدني، معتبرة أن مواجهة مثل هذه الظواهر تتطلب تكاتفا جماعيًا لا يقتصر على جهة بعينها.

وفى سياق آخر تناولت الدكتورة عبلة الألفى واحدة من أبرز القضايا الصحية التى تواجه النساء فى مصر وهى الولادات القيصرية التى تُجرى بلا داع طبى حقيقى مؤكدة أن الزيادة المفرطة فى نسب القيصرية تمثل خطرًا على صحة الأم والجنين على حد سواء.

وأوضحت نائب وزير الصحة أن الولادة الطبيعية هى الخيار الأفضل والأكثر أمانًا فى الحالات السليمة مشيرة إلى أن الإقبال غير المبرر على الولادة القيصرية يؤدى إلى مضاعفات خطيرة مثل النزيف والالتصاقات وصعوبة الحمل لاحقًا فضلًا عن احتمالية إصابة الأطفال بمشكلات تنفسية فى الأيام الأولى من الولادة.

وشددت الألفى على أن وزارة الصحة أطلقت حملة قومية لتصحيح المفاهيم الخاطئة حول الولادة القيصرية، تهدف إلى توعية الأمهات بأهمية الولادة الطبيعية، ورفع كفاءة الفرق الطبية فى وحدات النساء والتوليد بالمستشفيات الحكومية.

وأكدت أن الهدف من الحملة ليس المنع، بل الترشيد، بحيث تقتصر الولادة القيصرية على الحالات الضرورية فقط، حفاظا على صحة الأمهات وأجيال المستقبل.

ويظل الطريق طويلا، لكن الرسالة واضحة: مجتمع صحى يبدأ من أسرة واعية، وإعلام مسؤول قادر على قيادة التغيير.

تقرير: أحمد صلاح سلمان

لهذه الأسباب لا ننسى بحر البقر كما يطالبنا إبراهيم عيسى!



الجمهورية

استشهاد ٣٠ تلميذا فى غارة اسرائيلية





يسأل المذيع المصرى "إبراهيم عيسى" سؤالا استنكاريًا وهو يصرخ فينا قائلا.. لماذا لا ننسى ضحايانا فى بحر البقر؟..ولماذا نصرّ على تذكرّهم؟..يرى عيسى أنه قد حان الوقت لنسيانهم وفتح صفحة جديدة مع العدو..لكن لماذا يخرج مثل هذا الحديث الآن؟..سوف أجيبك..من أين أبدأ؟..

من جندى مصري.. من أبطالنا المغدورين فى هزيمة ١٩٦٧، كان يحكى لبرنامج شهير على الجزيرة فى بداية الألفية بعنوان «سرى للغاية» عما كابده عندما وقع أسيرًا فى يد العدو.. أتذكّر الراوية المحفورة فى ذهنى منذ خمسة وعشرين عامًا.. أخذهم العدو أسرى، ثم أنزلهم على الأرض، شكّل من أجسادهم صفوفًا، ثم مرّ عليها بالدبابات، مئات الجنود والضباط المغدورين لم يتبق من لحمهم وعظامهم شيئًا أسفل الجنازير.. لكن البعض تمكن من النجاة.. نفر أو إثنين.. لم يتركهم العدو أحياءً، بل أوقفهم ثم ثبتهم على صدر دبابة، وكانوا مضطرين فى لحظات حياتهم الأخيرة، أن يكابدوا ألم الرحيل ألف مليون ضعف، وهم يشاهدون دبابة أخرى تتقدّم تجاه الدبابة المثبتين إليها، فتسحقهم.. من ذاك الذى يضع آدميًا بين دبابتين.. من غير العدو العبري؟.. ختم الجندى المصرى حكايته بذلك السؤال فى تلك الحلقة التى حملت إسم "الطريق إلى عتليت"..من فعلًا يحمل فى قلبه كل ذلك الحقد سواهم؟.. كنت طفلًا فى العاشرة حينما استمعت للقصة.. طفل ما تزال ذاكرته فى طور التشكّل.. على يمينى أخبار الانتفاضة الثانية وصورة الدرة، وعلى يسارى ذاكرة تاريخية ملّحة أبطالها جنودنا المصريين البواسل.. وأنا فى المنتصف عالق.. لم يكن ثمة مجال أمامى بعد الحاضر المعاش والماضى القريب سوى أخذ موقف.. أصبحت أعرف عدويّ الأبدي.. الكيان..

عندما يطرح عيسى هذا السؤال ويطلب منّا النسيان فهو يعرف جيدًا ماذا يفعل خدمةً لأسياده الجدد، وما أكثر من خدمهم عيسى بصورة لم يفعلها خائن موغل فى الخيانة.. لا قضية دون ذاكرة.. ماذا لو نشأ طفل وعقله محشو منذ الصغر أن بحر البقر حدث اعتيادي، وعتليت ومضة من زمان لن يعود، ودير ياسين أحفورية منسيّة بحكم الأجساد المتحللّة أسفل التراب؟.. ماذا لو نسينا؟.. لن تتبقّى قضية.. ولن يصبح هناك عدو.. ربما يصبح العبرى وقتئذ صديقا مقربا.. نتبادل معه الطعام والشراب والرقص والغناء والجاز والغاز، بينما آذاننا صمّاء عن أنات المغدورين تحت التراب والذين خنّا عهودنا إليهم بالذكرى والثأر.. هذا ما يرغب فيه عيسى.. عالم جديد يستلزم ذاكرة ممحية.. فلننسى إذن يا رجل.. ولندع الأجيال الجديدة تحيا بلا ضغائن السالفين.. كذب.. المطلوب منك أن تنسى أما عدوك فلا ينسى، ولا يتوقّف عن الثأر.. ربما سمعت فى الأخبار بدل المرة ألف مرة اسم مستشفى فى القطاع تعرّض للقصف حتى تهدّم.. مستشفى كمال عدوان.. لم يكن من أبطال الحركة الخضراء، بل من رموز حركة فتح.. قبيل نصر أكتوبر ١٩٧٣ وتحديدًا فى شهر إبريل، نزلت قوة من الكوماندوز التابعة للعدو رفقة وحدة سيريت ميتكال إلى داخل الأراضى اللبنانية وأردت ثلاث أشخاص فى عملية عُرفت حينها باسم "فردان".. كمال عدوان وكمال ناصر وأبو يوسف النجار.. لم تكن سلسلة عشوائية من التصفيات بحق أبطالنا.. بل كانت عملية طويلة المدى شملت عشرات من القيادات فى مختلف بقاع الأرض، من فرنسا للنرويج وحتى لبنان.. والهدف كل من شارك فى عملية ميونخ ضد الرياضيين التابعين للكيان عام ١٩٧٢.. وبالفعل نجح العدو فى اصطيادهم جميعًا ضمن ما أسماه عملية «غضب الرب».. لم يترك العدو حق مستوطنيه لحظة، كانت تلك العقيدة التى عليها قام كيانهم.. لن ننسى، ولن يفلت أحد بما فعل تجاهنا..

قد يقول قائل.. لكنه وقت الحرب.. ومن المنطقى أن يثأر الكيان لمن سقطوا منه فى الطريق.. لكن عندما يوقّع السلام فسوف تطوى صفحة الماضى بكل آلامها.. كذب بواح.. حتى أثناء مفاوضات سلام الذل، وحتى بعد توقيعه فى أوسلو.. لم يرحم العدو شخصًا واحدًا من ثأره المديد.. كان السيد عرفات يفاوض من الموقع الأدنى، يترجّى الأميركيين من أجل أن يعيدوا له موقع القيادة فى القضية بعد تنحيته ونفيه إلى تونس.. كان حتى يرسل مندوبيه للتفاوض سرًا مع العبرانيين فى لشبونة.. مع شيمون بيريز شخصيًا عام ١٩٨٥.. ولم يشفع له انبطاحه.. حاولوا اصطياده فى غارة فاشلة على تونس فى نفس العام، ثم قاموا بتصفية كبار كوادره فى منازلهم.. صلاح خلف وخليل الوزير.. ولم ينسوا لعرفات شخصيًا ماضيه التحررى ضدهم حتى بعد أن أصبح موظفًا ينسّق لضمان أمن الاحتلال، فأردوه بالسم وتركوه أمام العالم كله فى مرحلة احتضار طويل بطيء مؤلم.. لا ينسى العدو وهو المحتل سارق الروح والأرض ثاراته.. أفننساها نحن؟.. أبدًا.. ننسى فقط عندما نثأر.. وليس ثمة ثأر أقل من تحريرها كاملة.. هذا ما لا يفهمه عيسى.. الذى يبدو أنه يحمل فى دعوته هدفًا آخر أشد خبثًا.. الفصل بين المصرى ومحيطه العربي..



تبدو حجته صادقة للوهلة الأولى.. لقد انتصر المصريون فى أكتوبر، أسقطوا من العدو الرقم الأكبر فى تاريخه بأربعة آلاف فطيسة، وعبرّوا الضفة الأخرى من القناة فى حدث أسطورى بمقاييس العسكرية آنذاك، ثم استردوا باقى أراضيهم بسلام كامب ديفيد.. لماذا إذن يظل المصرى يستذكر بحر البقر وعتليت وغيرها؟.. ألم تثأر فى أكتوبر؟.. ألم تسترد أرضك؟.. ألم تُطبع مع العدو؟.. وليست حجّة عيسى وحده بل فيلق من المطبعين المصريين الكامنين بين ظهرانينا.. لا لم ينتهى الثأر يومًا.. بل تجمّد عند لحظة زمنية وينتظر أن يتجدّد فى كل لحظة.. إياك أن تظّن أنه سلامًا يشبه ذاك الذى كان بين ألمانيا واليابان من جانب وقوى الحلفاء من جانب آخر؟.. لا.. فى سلام الأوربيين والباسيفكيين.. دُفعت التعويضات من المبادرين بالحرب، وأعيدت هيكلة بيئتهم الثقافية والفكرية ليتخلوا عن شراستهم، وصُنع إطار سياسى وعسكرى يدمجهم جميعًا فى الناتو والاتحاد الأوروبي، حتى ينال الجميع نصيبًا عادلًا من الشراكة.. أغلقت صفحات الماضى بصورة صحيحة بعد مداواة الندوب العميقة التى خلفّها قرنان ممتدان من الصراع الأوروبى والصعود الياباني.. ولتلك الأسباب تحديدًا لم يسقط ثأر المصريين الطويل.. لم يُقرّ العدو بجرائمه أولًا، ولم يدفع عنها التعويضات ثانيًا، ولم يتخل عن عدوانيته وتوسعه فى الأرض العربية ثالثًا، ولم يتوقّف يومًا عن استهداف المصالح المصرية فى السلام المزعوم قبل الحرب، فى تجزئة السودان، والسد الإثيوبي، وحصار القوة المصرية التاريخية فى كل موضع يُمكن أن تنبعث منه.. لم يفعل العدو أيًا من ذلك؟.. أفننسى ثاراتنا القديمة؟.. وحتى إن فعل واعتذر ودفع وكل ما إلى ذلك.. ولن يحدث يومًا.. لا ثأر يشفى إلا بالأرض كاملة.. وهذا للمرة الثانية ما لم يفهمه عيسى وأشباهه..

كل أمانيهم تنحصر فى أن ينفصل المصرى عن أشقائه.. يسقط بيده ذاكرته، وينأى بنفسه عن الصراع، فيتحقّق للعدو ما يريد.. تقزيم مصر وحصرها فى مساحتها الضيقة، والانفراد بالجيران واحدًا تلو الآخر، حتى يفرغ منهم جميعًا، فلا يتبقّى أمامه سوى مصر العصيّة على الابتلاع.. ونحن إن نسينا بحر البقر، سوف ننسى قانا وصابرا وشاتيلا وفظائع النكبة والحصار والتشريد والجوع المديد.. سوف نصبح حينذاك صهاينة.. نشبه بالظبط النسخة الخليجية القميئة تلك التى تمد يدها فى الجمعية العامة للأمم المتحدة للعدو بعد أن قاطعه الجميع.. ولا يرغب العدو فى نسخة من مصر أفضل من ذلك خدمة لمصالحه.. الأسوأ أن عيسى ورفاقه يتدثرون فى كل ما يقولون ويفعلون باسم "المصلحة الوطنية".. وهم أشر الناس كذبًا.. مدهش كيف أن الوطنجى المصرى نسخة عيسى المشبوه يطنطن بحب الوطن ويستشهد فى ألف حديث وحديث بكتاب شخصية مصر للدكتور جمال حمدان فى معرض تبيان ثقافته وغيرته الزائفة على الوطن، بل أن عيسى وزمرته الخائبة قد احتفلوا أيما احتفال عندما سُميت دورة معرض الكتاب ٢٠٢٠ باسمه.. يقول حمدان نصًا فى فصل "شخصية مصر الاستراتيجية" فى الكتاب الثانى ضمن الموسوعة الممتدة على أربعة مجلدات.. أن مصير مصر مرتبط عضويًا وتاريخيًا ببلاد الشام، وبالأخص منه "فلسطين».. وأن نظرية الأمن الإقليمى المصرى تمتد لتشمل "الشام وفلسطين.. الحجاز واليمن.. وإقليم برقة فى الغرب.. وحتى الصومال جنوبًا.. هذا نذر يسير مما خلص إليه العلامة المصرى الراحل.. وهذا ما يتجاهله المتشدقون بأعماله طمعًا فى نيل صكّ الوطنية.. وطنية العزلة والانكفاء التى حذر منها حمدان ألف مليون مرّة، لأنها تفتح أمام الأعداء التاريخيين لمصر ألف باب من أجل الانقضاض عليها.. ولأجل هذا لن تنفصل ذاكرتنا عن ذاكرة أهالينا.. لأنها بالأصل واحدة.. فى موات ثأرنا، فناء لدورنا.. لمصر التى هى أكبر مما يعتقد الأفاقون..

عندما بدأت الحرب، كنّا نظن أن أعادينا أكبر همّنا.. فاكتشفنا أن من بيننا من يوالى العدو كما لم يفعل أحقر الخونة عبر العصور.. وأن هؤلاء العيسى وأمثاله.. لن يهدأ لهم بالًا إلا إذا استقر الوضع للعدو.. سلام الذل الذى يتمتع فيه بالسيادة على الأرض والمال والنفس العربية.. اكتشفنا أن لهم قنوات وموارد لا تنضب.. وأن ممولهم هو فى الأخير ذاك البيدق الخليجى المصمّم وظيفيًا للقضاء على ما تبقى من اجتماع العرب ووجودهم.. وبينما يطالبنا البغيّ أن ننسى أطفالنا فى بحر البقر، فإليه نقول.. أن بيننا وبين العدو ثأر لن يُمحى إلا بمحوه.. وألم لن يُشفى إلا بردعه.. وأن بحر البقر هى المعمداني، وعتليت هى حى التفاح.. وأن القاهرة هى القطاع ودمشق وجنوب لبنان وصنعاء وبغداد.. وفى الطريق إلى ذلك.. سوف نشيّد من الذاكرة درعًا من حديد ونار، نرتديه ما حيينا، فلا يغادر أجسادنا إلا برحيلنا.. وحين نفعل، يلبسه أبناؤنا من بعدنا، فأحفاد أحفادنا.. حتى تظل الرواية عن جرائم العدو تنتقل من فم لأذن، جيلًا فجيل، حتى يأتى يوم تُدفع فيه الثارات دفعًا، من لحومهم وجلودهم وعظامهم، شبابهم وشيوخهم، ونساؤهم ورجالهم، وإن اختبأوا خلف ألف جدار.. هذا وعد قطعناه ونلتزم به، لا يهم إن رأت عيوننا النصر، أم تأخّر ألف جيل.. سنظل نسعى ومع السعى ألف أمل.. أنه فى يوم ما بعد ألف دقّة على الجدار، سوف تنتفح ثغرة، فإثنتين فعشرة، حتى يتشقّق كاملًا ونستعيد الأرض.. وبتلك الذاكرة المدماة نسير ونحن نمتلك اليقين، يقين بحق الضعفاء، وثارات المقهورين..ويقين بوعد الله ونصره.. ولا ملامة على وضيع ادخّر كل يقينه فى ميركافات العدو.. وسيزول بزوالها.

بقلم: عبده فايد

ماسبيرو.... الواقع والمأمول



د. عادل القليعي

أستاذ الفلسفة بآداب حلوان

إن المفكر الحقيقى هو الذى يعايش الواقع ولا ينفصل عنه، بل يجعل قضاياه مادة ثرية يطوعها لخدمة هذا الواقع لمحاولة إيجاد حلول ناجعة لها.

كما أن الكاتب المدقق لا يؤمن بنظرية المؤامرة أو يخوض مع الخائضين الذين لا هم لهم ليلا ونهارا إلا الكلام ، القيل والقال ، أولئك الذين يصدق عليهم قوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون)، دأبهم وديدنهم تثبيط الهمم وتقزيم والحط من شأن أى عمل ينجز على أرض الواقع .

وهؤلاء للأسف كثر فى مؤسساتنا الحكومية ، بل هم كثر ويحيون بيننا ، فعندما يذكر (س)، أو (ص)، بمنجزاته سواء كانت علمية أو إقتصادية أو ثقافية أو قاما بعمل إجتماعى يفيد أبناء المجتمع ، تجدهم يضعون أنوفهم دون أن يطلب أحد رأيهم ، فيقولون نعم فعل فلان عمل جيد لولا كذا وكذا ، ويطرح مبررات واهية ، تجعل شهود الموقف يزدرون أفاعيله.

وهذا للأسف حال كثير من بنى جلدتنا فى مصرنا الحبيبة، وإن جاز لى أن أسميهم أعداء النجاح الذين لا يريدون لنا التفوق والتقدم سواء على المستوى الشخصى أو المستوى الجمعي.

ومن هذا المنطلق فإننا نقول لهؤلاء قفوا عند منتهاكم ، لكم أن تقولوا كلمة طيبة أو اسكتوا هو خير لكم.

ونقول لأصحاب الإنجازات سيروا على بركة الله فى طريقكم ولا تلتفوا إلى هؤلاء المثبطين ، وإن كانت هناك بعض الهنات فجميعنا بشر ولسنا معصومون ، فلتعالجوا هذه الأخطاء ولتستمروا فى سعيكم ولن يتركم الله أعمالكم.

أما بخصوص تجربتى مع ماسبيرو ، مبنى الإذاعة والتليفزيون الكائن شامخا مطلا على النيل الخالد ، فلى معه عدة وقفات :

الوقفة الأولى ، أننى لا أعرف حتى اسم رئيسه الحالى أو السابق ، حتى لا يتهمنا أحد بالتملق لأحد ، فما كانت تعنينى الأسماء قدر عنايتى بالبرامج التى كنت أدعى إليها ، من حيث المادة الإعلامية التى سنقدمها للمستمع الكريم فى إذاعة البرنامج الثقافى سواء برنامج نافذة للحوار لايف على الهواء مباشرة وكان يعرض من التاسعة إلى العاشرة مساء على الهواء كل يوم سبت ، أو برنامج نظرات فى الاستشراق تسجيلات استديو ٣٠، أو الفترة المفتوحة ، وفقرة بلا حدود على الهواء مباشرة من الثالثة إلى الرابعة والربع على الهواء كل يوم خميس ، أو من خلال مداخلاتى فى برنامج عرب فيسبوك على الهواء إذاعات صوت العربية ، أو إذاعة صوت فلسطين.

هذا بالنسبة للإذاعة المصرية أما التليفزيون ، فكنت دوما أدعى لبرنامجين ، أحدهما على القناة الثانية الذى هو فى الأصل كان خاصا بالقناة الأولى، بعدما ضمت برامج القناتين معا، وهذه إحدى المساويء ، فكانت حلقات برنامج رؤية تذاع الرابعة صباحا ، فكيف ببرنامج ثقافى يقدم مادة علمية معتبرة، له أسرة إعداد غاية فى الدقة وأسرة إخراج أروع مع مذيعة مثقفة جدا، كيف يذاع الرابعة صباحا، وهذه علامة استفهام كبرى.؟!

كذلك برنامج بالريشة والقلم على القناة الثالثة الذى قدمته على حظى الجميل إعلامية متميزة ، لكن كان موعد إذاعته متأخرا أيضا.

فكيف نتحدث عن الثقافة والآداب والفنون والقيم الخلقية وتذاع هذه الحلقات فى ساعات متأخرة من الليل والناس نيام، وكأننا نقول لا تشاهدونا أو نقول لهم إذا أردتم الإستفادة فاسهروا للصباح لنذنبهم أمام شاشات التلفزيون.

لذا أتمنى أن تعالج هذه الأخطاء حتى يستفيد الجمهور من علم الأساتذة كل فى تخصصه.

الوقفة الثانية ، بوابة ٤، بوابة الدخول الرئيسية لماسبيرو ، يتمتع أفراد الأمن بدقة عالية ومهارة فى الكشف عن هوية الضيف ، فضلا عن حسن الاستقبال ، ويحضرنى موقف طريف ، أبرزت تحقيق شخصيتى بطاقة الرقم القومي، وبحث الرجل المحترم على الكمبيوتر الذى أمامه، ويبدو أن الإعداد نسى أن يعطيهم تصريح دخولي، فاتصل بأمن الاستديوهات، استديوهات البرنامج الثقافي، فنزل على الفور الموظف بتصريح دخولي، الشاهد، فى الموضوع ، دقة التفتيش فليس كل من هب ودب يمر ويدخل، وإنما هناك كارت دخول تمر به من ماكينات يقف عليها موظف محترم قمة فى الأدب والأخلاق.

الوقفة الثالثة ، كرم الضيافة، لا انتظروا، أقصد كرم ضيافة المعدين والمذيعين ، لا كرم ضيافة البرامج ذاتها، فالمياه والقهوة كان يدفع ثمنهما إما المذيع أو المعد وفى آحايين كثيرة كنت أصل مبكرا فأنتظر فى الكافتيريا فيحاسب الضيف على المشاريب، فضلا عن أننا كنا نذهب على حسابنا، وعلى حد علمى أنه كانت هناك سيارة تأتى بالضيف سابقا من مكان إقامته، فضلا عن مكافأة مادية يسيرة كانت تعطى للضيف على هيئة استمارة يملأها وتضاف لاحقا إلى حسابه أو يقوموا بتجميع لقاءاته ويرسلوا له شيكا باسمه، لكن انتهى ذلك تماما الآن، فلا يوجد أكثر من كلمة شكرا نسمعها من المذيع والمعد والمخرج، وهذا ما أدى إلى احجام كثير من الأساتذة إلى الذهاب إلى ماسبيرو إذا ما دعو لذلك، وأنا واحد منهم.

ومن هذا المنطلق أهيب بالسادة المسؤولين عن ماسبيرو، إذاعة وتليفزيونا أن يعطوا الضيف حقه ولو حتى بتكريم معنوى يكون حافزا له على المجئ مرة أخرى، خصوصا أننى حضرت لقاءات مع ضيوف أفاضل أتوا من سفر، من خارج القاهرة.



أما الوقفة الرابعة، وهذه تعد سبة فى حق ماسبيرو العظيم الذى شهد عمالقة الإذاعة والتليفزيون، وشهد أعظم اللقاءات مع علماء وأدباء وكتاب وعلماء دين ملأوا الدنيا علما وأدبا وفقها، فهل يعقل أن تجلس فى إحدى استديوهات الإذاعة على كراسى جلد مهلهلة، مكسورة، هل يليق بهذا الصرح العملاق أن تكون مرافقة الحيوية بالية، الحمامات، صنابر المياة، النظافة، وقفت ذات يوم متعجبا، هل هذا مبنى الإذاعة والتليفزيون الذى كنا نسمع عنه ونحن صغار، وكنا نمر من أمامه فنشعر بالسعادة والفخر، ما الذى أصابه.؟!

أتمنى من القائمين عليه الآن أن يعيدوا له هيبته وبريقه ولمعانه.

الوقفة الخامسة، هل نريد حقا تطوير ماسبيرو والعودة به إلى سيرته الأولى، إذا أردنا ذلك حقا فلتتنبهوا إلى مقولاتى الآتية جيدا التى سأقولها وأجرى على الله.

أولاها، دعو إدارته الجديدة تعمل ولا تعرقلوا مسيرتها ولا تتقولوا عليها الأقاويل فالذى اختار هذه القيادات الدولة ، والدولة بها أجهزة غاية فى الأهمية وتقوم بالفرز جيدا قبل أن تضع شخوصا بعينها فى أماكن حساسة، أما إذا كانت هناك أخطاء فيجب التنبيه عليها والتوجيه والإرشاد حتى يتم وضع الأيدى على الداء من أجل إيجاد دواء ناجع له.

ثانيتها ، توجيه الأنظار إلى الشباب من المذيعين والمذيعات وإعطائهم فرصهم ، وعدم تكرار وجوه بعينها سئمها المشاهد الكريم، لا أقول على مستوى المذيعين فقط ، بل الإعداد والإخراج وحتى مهندسين الديكور والفنيين ، ابحثوا عن الوجوه الجديدة.

ثالثتها ، الدعم المادى للكوادر الإعلامية، بدل مظهر، بدل انتقال، فكيف نطالبهم بالظهور بمنظر حسن جميل ولا ننفق عليهم، إن هذا لشئ عجاب، فمعظمهم لا يعمل فى الإعلام الخاص وليست لديهم دخول أخرى سوى رواتبهم، فهل رواتبهم ستكفي.

رابعتها، اطرحوا الوساطة والمحسوبية أرضا، وأعطوا كل ذى حق حقه، من تجدون فيه الموهبة عينوه بعد عصره فى اختبارات فى الثقافة العامة، فى اللغة، فى سرعة البداهة والحضور.

خامستها، اعقدوا دورات تدريبية لجميع الاصطفافات، كل فى مجال تخصصه.

وأخيرا إن نهضة ماسبيرو لن تحدث إلا بتضافر الجهود ، وترك الشحناء والضغائن والترفع عن الصغائر.

المشهد
العدد 342 - السنة الرابعة عشر ـ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

قالت العرب

رُب ساعٍ مبصرٍ فى سعيه أخطأ التوفيق فيما طلبا..

حافظ إبراهيم

شبكة قواعد للإمارات فى خدمة المخابرات الإسرائيلية!

أثبت الأحداث الأخيرة أن الكيان الصهيونى قابل للكسر والزوال، لا سيّما بعد أن بدت منظوماته الدفاعية عاجزة عن صدّ وابل الصواريخ والطائرات المسيّرة التى استهدفت عمقه الاستراتيجي. مشاهد الهلع، توقف حركة الطيران، وصافرات الإنذار التى دوّت فى قلب تل أبيب، أكدت هشاشة هذا الكيان، فالحروب الأخيرة لم تكن مجرد اشتباكات عسكرية، بل زلازل ثقافية هزّت صورة إسرائيل فى وعى الصهاينة قبل الوعى العربي. فى هذا التحقيق استعرضت «المشهد» شهادات نخبة من الكُتّاب والمفكرين حول الأحداث الأخيرة وقدرة الأدب العربى على فضح أسطورة التفوق الإسرائيلي.



تغلغل إسرائيلي – إماراتي في القرن الإفريقي وقاعدة عسكرية تتحكم مستقبلا في باب المندب (مما يهدد المصالح المصرية)



منصة لتبادل المعلومات الاستخباراتية تُعرف باسم «كريستال بول» لمراقبة أى نشاط حوثى أو إيراني





من جزر سقطرى فى المحيط الهندى إلى سواحل الصومال واليمن، تكشف صور الأقمار الصناعية التى حللها موقع «ميدل إيست آي» عن شبكة موسعة للغاية من القواعد العسكرية والاستخباراتية التى بنتها الإمارات العربية المتحدة.

تصاعدت هذه الحلقة المسيطرة، داخل وحول أحد أكثر ممرات الشحن ازدحامًا فى العالم، بسرعة منذ هجمات ٧ أكتوبر على إسرائيل والحرب التى تلتها فى القطاع.

شارك حلفاء الإمارات، بمن فيهم إسرائيل والولايات المتحدة، فى إنشاء وتوسيع هذه القواعد.

فى تقرير بثه الموقع الذى يصدر من بريطانيا: «يتواجد ضباط إسرائيليون على الأرض فى الجزر، وتسمح أنظمة الرادار الإسرائيلية وغيرها من الأجهزة العسكرية والأمنية للإمارات بمراقبة وإحباط الهجمات التى يشنها الحوثيون، الحركة المتحالفة مع إيران والتى أطلقت صواريخ على إسرائيل تضامنًا مع الفلسطينيين واستهدفت السفن المارة عبر البحر الأحمر وخليج عدن».

«لدى الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل منصة لتبادل المعلومات الاستخباراتية تُعرف باسم «كريستال بول»، حيث تقومان «بتصميم ونشر وتمكين الاستخبارات الإقليمية» بالشراكة، وفقًا لعرض شرائح مصمم للترويج للاتفاقية».

«كانت العلاقة بين الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل متطورة للغاية حتى قبل إقامة العلاقات الدبلوماسية الرسمية، لكنها ظلت سرية. لم تكن سرية، بل هادئة فقط»، هذا ما قاله ألون بينكاس، الدبلوماسى الإسرائيلى الذى عمل مستشارًا لأربعة وزراء خارجية، لموقع ميدل إيست آي.

لم تُبنَ القواعد على أراض تسيطر عليها الإمارات رسميًا.

بدلاً من ذلك، توجد فى مَناطق يسيطر عليها اسميًا حلفاؤها، بما فى ذلك المجلس الانتقالى الجنوبى فى اليمن، والقائد العسكرى اليمنى طارق صالح، والإدارات الإقليمية فى أرض الصومال وبونتلاند، وكلاهما جزء من الصومال، الذى توجد حكومته على خلاف مع الإمارات.

تم بناء أو توسيع قواعد عسكرية ومدارج ومرافق أخرى فى جزيرتى عبد الكورى وسمحة، وهما جزيرتان تابعتان لأرخبيل سقطرى، الذى يديره الآن المجلس الانتقالى الجنوبي؛ وفى مطارات بوساسو وبربرة فى بونتلاند وأرض الصومال؛ وموكا فى اليمن؛ وميون، وهى جزيرة بركانية فى مضيق باب المندب، يمر عبرها ٣٠٪ من نفط العالم.

تُسهّل هذه الشبكة من القواعد سيطرة الإمارات وحلفائها على هذا الامتداد المائى الحيوي، وقد طُورت بتنسيق وثيق مع إسرائيل، وفقًا لمصادر إسرائيلية.

تحكم هذه القواعد شبكة مترابطةً من الدفاع الصاروخى وتبادل المعلومات الاستخباراتية بين إسرائيل والإمارات وحلفاء آخرين.

يقول معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وهو مركز أبحاث أمريكى مؤيد لإسرائيل: «أصبحت تحالفات الدفاع الجوى متعددة الأطراف أساسيةً فى المشهد الدفاعى فى الشرق الأوسط بعد ٧ أكتوبر، حيث تتشارك الدول أنظمة الرادار والاستخبارات والإنذار المبكر».

فى حين أن هذه السلسلة من القواعد حيويةٌ فيما يتعلق بمراقبة حركة الشحن العالمية وأى نشاط حوثى أو إيرانى فى المنطقة، فقد ازدادت أهمية بوساسو وبربرة، وفقًا لمصادر دبلوماسية ومحلية متعددة، لدعم الإمارات لقوات الدعم السريع شبه العسكرية فى حرب السودان.

يُحاكى إنشاء شبكة قواعد عسكرية مُحيطة بالبحر الأحمر وخليج عدن الطريقة التى استخدمت بها الإمارات قوتها المالية الهائلة لإنشاء قواعد عسكرية فى العديد من الدول المُحيطة بالسودان، بما فى ذلك الجزء الجنوبى الشرقى من ليبيا الذى يُسيطر عليه الجنرال خليفة حفتر، وتشاد، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وأوغندا، وإثيوبيا، وكينيا.

كما تمتلك الإمارات قاعدتين عسكريتين داخل السودان، الذى يشهد حربًا منذ أبريل/نيسان ٢٠٢٣: نيالا فى جنوب دارفور، والمالحة، على بُعد ٢٠٠ كيلومتر من الفاشر، عاصمة شمال دارفور، والتى تخضع لحصار وحشى من قِبل قوات الدعم السريع لأكثر من ٥٠٠ يوم.

على الرغم من نفيها الدائم، اعتبرت الأمم المتحدة تقارير متعددة ومتعمقة – بما فى ذلك من موقع ميدل إيست آى – حول رعاية الإمارات لقوات الدعم السريع، التى قالت الولايات المتحدة إنها ترتكب إبادة جماعية فى السودان، ذات مصداقية.

وقد راسل موقع ميدل إيست آى وزارة الخارجية الإماراتية وسفارتها فى المملكة المتحدة للتعليق.

وصرحت الإمارات سابقًا بأن «أى وجود لها فى جزيرة سقطرى يقوم على أسس إنسانية ويتم بالتعاون مع الحكومة اليمنية والسلطات المحلية».

الثروة والسلطة

فى حين يبلغ عدد سكان الإمارات العربية المتحدة ١٠ ملايين نسمة، فإن مليونًا واحدًا فقط من هؤلاء السكان هم من الإماراتيين، أما الباقى فهم من المغتربين والعمال الأجانب.

قال جلال حرشاوي، المحلل المتخصص فى شؤون شمال إفريقيا والاقتصاد السياسي، لموقع «ميدل إيست آي»: «نظرًا لأن دولاً مثل إثيوبيا وليبيا واليمن والصومال والسودان تعانى من تفكك وسوء إدارة متزايدين، فإن الإمارات العربية المتحدة قادرة على ممارسة نفوذ كان من المستحيل تحقيقه لو كانت هذه الدول تشبه، على سبيل المثال، حكومة الجزائر، ذات سيطرة إقليمية كاملة».

وأضاف حرشاوي: «السودان وليبيا مثالان على هذه الأزمة: مساحات يمكن فيها لدولة أجنبية، مُسلحة بثروة هائلة وقوة ضغط ودبلوماسية معاملات، أن تمارس نفوذًا غير متناسب»، فى إشارة إلى تدخل الإمارات فى ليبيا عام ٢٠١١ وفى السودان إلى جانب قوات الدعم السريع.

إضافةً إلى ذلك، فإن الولايات المتحدة، على الرغم من احتفاظها «بمشاريع تدخلية معزولة مثل إسرائيل وجرينلاند»، قد «تخلت عن أى مفهوم للهيمنة الليبرالية والمثالية الديمقراطية عالميًا».

وقال حرشاوى لموقع «ميدل إيست آي»: «فى هذا السياق، أطلقت الإمارات ، مشروعًا هيمنيًا يمتد على جانبى البحر الأحمر».

على مدار العقد الماضي، أصبحت الإمارات العربية المتحدة أكبر مستثمر فى الموانئ فى جميع أنحاء أفريقيا: فهى تستقبل ٤٠٠ طن من الذهب المُهرّب من القارة سنويًا، وتتدخل فى الحروب هناك، وبنت إمبراطورية قوة ناعمة تشمل ملكية نادى مانشستر سيتى لكرة القدم.

وقال دبلوماسى غربى لموقع ميدل إيست آي: «إذا أردتَ فهم ما تفعله الإمارات العربية المتحدة فى أفريقيا، فاقرأ كتاب ويليام دالريمبل «الفوضى»، مشيرًا إلى رواية المؤرخ الاسكتلندى المكونة من ٥٧٦ صفحة عن كيفية استيلاء شركة الهند الشرقية البريطانية على الهند. إنه نفس النهج تمامًا».

يُعدّ اليمن محورًا أساسيًا فى السياسة الخارجية الإماراتية. فى عام ٢٠١٥، قادت الإمارات العربية المتحدة، إلى جانب المملكة العربية السعودية، تحالفًا من الدول التى انضمت إلى الحرب فى اليمن لدعم الحكومة ضد حركة الحوثيين المتحالفة مع إيران.

وكجزء من هذا، توجه مقاتلون سودانيون من قوات الدعم السريع إلى اليمن للانضمام إلى التحالف الإماراتى السعودي.

فى نوفمبر ٢٠١٥، ضرب إعصار تشابالا اليمن والمنطقة المحيطة بها، بما فى ذلك سقطرى، التى تضم جزيرتها الرئيسية – والتى تسمى أيضًا سقطرى وتقع على بعد حوالى ٤٠٠ كيلومتر جنوب البر الرئيسى اليمني. أعلنت الإمارات العربية أنها كانت هناك لمساعدة ضحايا الإعصار، ونشرت قواتها فى الأرخبيل.

تُعد سقطرى موقعًا للتراث العالمى لليونسكو معروفًا بأشجار دم التنين الغريبة التى احتلها البريطانيون والبرتغاليون فى نقاط مختلفة من تاريخها، وقد رحبت فى البداية ببناء البنية التحتية الرئيسية من قبل الإمارات.

الوجود الإماراتى ترسخ، وفى يونيو/حزيران ٢٠٢٠، انتزع المجلس الانتقالى الجنوبي، حليف الإمارات، السيطرة على الأرخبيل من الحكومة اليمنية المدعومة من السعودية. ومنذ ذلك الحين، تُظهر صور الأقمار الصناعية أن الإمارات عززت نشاطها العسكرى والاستخباراتى فى الجزر، مع تصاعد هذا النشاط منذ بدء الإبادة الجماعية الإسرائيلية فى غزة.

تقع جزيرة عبد الكورى غرب سقطرى، وهى إحدى جزر الأرخبيل. وهى أرض صخرية تمتد من المحيط الهندى بالقرب من مصب خليج عدن، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٥٠٠ نسمة.

تمتد جزيرة عبد الكورى على الممر الملاحى من المحيط الهندى إلى مضيق باب المندب، وهى نقطة مراقبة مبكرة للسفن القادمة من الجنوب الشرقي، وقد تحولت فى السنوات القليلة الماضية إلى منشأة عسكرية استراتيجية.

فى نهاية أغسطس/آب ٢٠٢٠، قبيل تطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة فى إطار اتفاقيات إبراهيم التى رعتها الولايات المتحدة، وصل ضباط استخبارات من كلا البلدين إلى الجزيرة.

فى فبراير/شباط ٢٠٢١، وصل عشرات الضباط والجنود الإسرائيليين إلى سقطرى على متن طائرات إماراتية، وفقًا لمصادر محلية ودبلوماسيين إقليميين.

فى نوفمبر/تشرين الثانى من ذلك العام، أجرت القيادة المركزية للقوات البحرية الأمريكية مناورة بحرية فى البحر الأحمر إلى جانب البحرين والإمارات وإسرائيل، وهى أول مناورة عسكرية مُعلنة بين الدول الموقعة على اتفاقيات إبراهيم.

فى إحاطة إعلامية آنذاك، قال ضابط بحرى إسرائيلى إن المناورة «ستعزز التعاون والأمن فى البحر الأحمر، وليس فقط فى البحر الأحمر، لأننا نتعامل مع الإرهاب الإيراني» فى المنطقة الأوسع.

ووفقًا لصور الأقمار الصناعية، بدأ بناء قاعدة جوية على الساحل الشمالى لجزيرة عبد الكورى فى أواخر عام ٢٠٢٢.

مع بدء البناء، ازدهر التعاون بين الإمارات وإسرائيل

أعلنت الشركة الإماراتية التابعة لشركة الأسلحة الإسرائيلية «إلبيت سيستمز» أنها ستزود القوات الجوية الإماراتية بأنظمة دفاعية. نشرت إسرائيل أنظمة رادار للإنذار المبكر فى الإمارات، ثم فى فبراير ٢٠٢٣، كشفت الدولتان عن سفينة بحرية بدون قيادة مشتركة الصنع قادرة على المراقبة والاستطلاع وكشف الألغام.

اعتبارًا من أكتوبر ٢٠٢٣، تم بناء مهبط طائرات جديد بطول ٢,٤١ كيلومتر تقريبًا، بالإضافة إلى امتداد ترابى بطول ثلاثة كيلومترات فى عبد الكوري. فى مارس ٢٠٢٤، أظهرت صور الأقمار الصناعية التى نشرتها وكالة أسوشيتد برس عبارة «أحب الإمارات» مكتوبة على أكوام من الرمال بجوار المدرج.

بحلول مارس ٢٠٢٥، أظهرت صور الأقمار الصناعية لموقع «ميدل إيست آي» أن المدرج، الذى بُنى فى طرفه الشمالى لاستيعاب طائرات النقل والاستطلاع الكبيرة، قد اكتمل.

أصبح المدرج الآن قادرًا على استقبال طائرات شحن عسكرية متوسطة إلى ثقيلة، بما فى ذلك طائرات هيركوليس الأمريكية من طراز سي-١٣٠، وطائرات النقل الثقيلة الروسية من طراز إليوشن-٧٦، وطائرات بدون طيار مثل طائرة هيرمس ٩٠٠ الإسرائيلية بدون طيار.

فى الوقت الحالي، تُجرى شركة إيدج جروب، وهى شركة مقاولات عسكرية مملوكة للدولة فى الإمارات، محادثات مع شركة إلبيت سيستمز بشأن شراء طائرات بدون طيار إسرائيلية.

المدرجات والصخور

فى الوقت الذى كان العمل جاريًا فى عبد الكوري، كان العمل جاريًا أيضًا على قدم وساق فى سمحة، أصغر جزر سقطرى الثلاث المأهولة بالسكان، والواقعة فى أعماق بحر العرب.

تُظهر صور الأقمار الصناعية أن الإمارات العربية المتحدة بدأت فى بناء مهبط للطائرات فى الجزيرة عام ٢٠٢٤، على أن يتم الانتهاء من المدرج فى أبريل ٢٠٢٥، إلى جانب رصف الطرق وإنشاء مرافق الدعم الأساسية.

لا تسمح التضاريس الصخرية والجبلية لسمحة ببناء مدارج أطول بسهولة، لذلك من المرجح استخدامها لعمليات المراقبة السريعة والدورية بدلاً من النقل الثقيل. يمكنها استقبال وتشغيل طائرة هيرمس ٩٠٠، وهى قادرة على دعم عمليات الاستطلاع الإلكترونى والمراقبة البحرية.

يُعد موقع الجزيرة مثاليًا لمراقبة الممر البحرى بين خليج عدن وبحر العرب، والذى يمر عبره حوالى ١٢٪ من التجارة العالمية.

فى الفترة ما بين ٢٥ مارس و٤ أبريل ٢٠٢٥، كشفت صور الأقمار الصناعية عن ظهور شريط رملى مؤقت على الجانب الغربى من سمحة، والذى لم يكن مرئيًا فى الصور السابقة التى شاهدها موقع ميدل إيست آي. ويبدو أن هذا الشريط الرملى الصغير قد تشكل لتصريف مياه البحر مؤقتًا، وهو نمط شائع فى مشاريع البناء العسكرية المعزولة.

أثناء ذلك، شوهدت سفينة الإنزال «يونج ستار»، وهى سفينة إنزال تحمل علم جزر القمر ورقمها ١٠٩٥٩٧٣ لدى المنظمة البحرية الدولية، والتى يُرجّح أنها كانت تُستخدم لتفريغ المعدات المستخدمة فى تجهيز المدرج، راسية قبالة الساحل الغربى للجزيرة.

تُظهر بيانات تتبع السفن أن السفينة تُواصل تحركاتها بشكل دورى بين سمحة وعبد الكورى وسقطرى، وأنها ترسو فى موانئ يمنية قريبة قبل أن تعود إلى أبوظبي.

ورصدت «ميدل إيست آي» سفنًا أخرى، بما فى ذلك «تكريم» و«المبروكة ٢»، وهى تتنقل بين جزيرة سقطرى الرئيسية، وساحل اليمن، وعبد الكوري، وبوصاصو، رابطةً بذلك حلقة السيطرة الإماراتية.

فى حين أن عبد الكورى وسمحة وسقطرى تُعدّ جزءًا لا يتجزأ من هذه الشبكة من القواعد، فإن جزيرة ميون (المعروفة أيضًا باسم بريم)، وهى جزيرة بركانية فى مضيق باب المندب، هى التى تحتل الموقع الأكثر أهمية من الناحية الاستراتيجية.

يُعرف باب المندب باسم «بوابة الدموع» بسبب صخوره البارزة الكبيرة وبحاره الهائجة، ويقع بين القرن الأفريقى والطرف الجنوبى لشبه الجزيرة العربية، مع اليمن من جهة وإريتريا وجيبوتي، التى تستضيف قاعدة عسكرية أمريكية كبيرة وقوات من الدول الغربية بما فى ذلك المملكة المتحدة، من جهة أخرى.

يُعدّ باب المندب أحد أهمّ المعابر البحرية فى العالم لشحنات الطاقة والبضائع التجارية، وقد تأثر بشدة بعد أن شنّ الحوثيون هجماتهم عليه فى نوفمبر ٢٠٢٣.

فى حين وقّعت الولايات المتحدة والحوثيون اتفاقًا فى مايو من هذا العام أوقف الهجمات – بالإضافة إلى حملات القصف التى تقودها الولايات المتحدة فى اليمن – لا تزال حركة الملاحة البحرية فى باب المندب أقلّ من متوسط ٧٢-٧٥ سفينة يوميًا الذى سُجّل قبل نوفمبر ٢٠٢٣.

ولأهمية ميون الاستراتيجية حتى قبل افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، احتلّت شركة الهند الشرقية ميون لأول مرة عام ١٧٩٩ قبل أن تستولى عليها بريطانيا رسميًا عام ١٨٥٨، وتحتفظ بها حتى عام ١٩٦٧.

فى وقت مبكر من عام ٢٠٢١، ظهرت تقارير عن بناء «قاعدة جوية غامضة» فى ميون، دون أن تدّعى أى دولة ملكية البناء.

أشارت التقارير إلى أن المدرج «يسمح لمن يسيطر عليه بفرض سيطرته على المضيق وشن غارات جوية بسهولة على البر الرئيسى لليمن... كما يوفر قاعدة لأى عمليات فى البحر الأحمر وخليج عدن وشرق إفريقيا المجاورة».

تُظهر صور الأقمار الصناعية من عام ٢٠٢٣ حتى يومنا هذا أن مهبط الطائرات فى قاعدة ميون الجوية يمتد الآن بطول حوالى ١.٨٥ كيلومتر، وينحدر من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى على طول الساحل الغربى للجزيرة. يتكون المدرج من سطح مُعبّد داكن اللون مناسب للطائرات متوسطة الحجم أو الطائرات المسيرة الكبيرة وطائرات الاستطلاع المأهولة.

بينما لم تُلاحظ أى تغييرات على المدرج فى عامى ٢٠٢٣ و٢٠٢٤، أظهرت صور عام ٢٠٢٥ تغييرًا واضحًا، مما يشير إلى إجراء أعمال تسوية وإعادة تعبيد للسطح.

توجد حول القاعدة سلسلة من حظائر الطائرات واسعة بما يكفى – أطولها وأعرضها ٦٦٠ مترًا × ١٠٠ متر – لإيواء طائرات بدون طيار، وربما طائرات استطلاع. كما تُظهر صور الأقمار الصناعية مرافق سكنية فى القاعدة، مما يسمح بنشر عشرات الأفراد العسكريين والفنيين.

خطوط المراقبة والإمداد

ترتبط قواعد الجزر بطرق بحرية، وأنماط بنية تحتية، ومرافق استخباراتية، بالوجود العسكرى الإماراتى فى بوساسو وبربرة، وهما ميناءان فى منطقتى بونتلاند وأرض الصومال فى الصومال.

أدى استخدام هاتين المنطقتين، اللتين تشهدان حركات انفصالية تسعى للانفصال عن الصومال، إلى وضع الإمارات فى موقف معارض لحكومة حسن شيخ محمود فى مقديشو.

تُظهر صور الأقمار الصناعية أن الإدارة الإماراتية أنشأت فى قاعدة بوساسو الجوية، الواقعة بجوار مطار بوساسو الدولي، منشأة رادار، ومستودعات ذخيرة محصنة، ومنطقة شحن مخصصة لطائرات النقل الثقيل من طراز IL-٧٦، ومستشفى ميدانيًا، وساحة تخزين مركبات تضم عشرات الشاحنات الصغيرة، وحظائر طائرات، والحظيرة الأصلية لقوة شرطة بونتلاند البحرية (PMPF).

كانت شركة مقرها الإمارات العربية المتحدة تُدير قوة شرطة بونتلاند البحرية فى البداية، فى انتهاك لحظر الأسلحة الذى فرضته الأمم المتحدة، وكانت تُرفع تقاريرها مباشرة إلى رئيس بونتلاند، متجاوزةً بذلك سيادة الحكومة الفيدرالية الصومالية.

تُشير صور من جوجل إيرث إلى أعمال بناء سريعة ومكثفة نُفذت على الحافة الشرقية لقاعدة بوساسو الجوية بين يناير ٢٠٢٤ ويناير ٢٠٢٥. وفى ذلك الوقت، تم بناء ثلاثة مهابط للطائرات العمودية؛ ومجموعة من الحظائر الكبيرة المغلقة القادرة على استيعاب الطائرات بدون طيار؛ ومنطقة عمليات مُعبّدة بالكامل متصلة بتلك الحظائر.

تُظهر صور الأقمار الصناعية من الطرف الشمالى للقاعدة فى بوساسو ما يبدو أنه رادار GM-٤٠٣ فرنسى الصنع، تُشغّله الإمارات، على الرغم من وجود تقارير تفيد باستخدام نظام EL/M-٢٠٨٤ إسرائيلى الصنع – وهو النظام نفسه الذى تستخدمه القبة الحديدية الإسرائيلية.

يتمتع كل من نظامى الرادار الفرنسى والإسرائيلى بالقدرة على تتبع أكثر من ألف طائرة مُسيّرة، وطائرة، وصاروخ، أو مدفعية على مدى يزيد عن ٤٠٠ كيلومتر. فى بوساسو، يعنى هذا تغطية خليج عدن ومدخل البحر الأحمر.

وفقًا لمصادر سودانية ودبلوماسية ومحلية متعددة، تستخدم الإمارات العربية المتحدة أيضًا بوساسو لنقل الأسلحة والذخائر إلى قوات الدعم السريع فى السودان.

شوهدت طائرة النقل من طراز IL-٧٦ فى صور الأقمار الصناعية متوقفة على مدرج هبوط مطار مدنى جنوب شرق مطار بوساسو. كما شوهدت فى صور الأقمار الصناعية طائرة هيركوليس C-١٣٠، وهى طائرة نقل عسكرية للمعدات الثقيلة.

فى أوائل عام ٢٠٢٤، كانت تصل رحلتان أو ثلاث رحلات من هذا النوع يوميًا. وبحلول منتصف عام ٢٠٢٥، كانت هذه الرحلات تعمل بمعدل حوالى ١٥ رحلة شهريًا.

يوم الاثنين، ووفقًا لبيانات تتبع الرحلات الجوية، وصلت طائرة بوينغ ٧٣٧-٤٣٦ إلى بوساسو الساعة ٨:٥٠ صباحًا بالتوقيت العالمى المنسق، ثم غادرت فى رحلة العودة إلى أبوظبي.

تحالف معقد

يعود ارتباط الإمارات العربية المتحدة بأرض الصومال، التى تشهد أقوى حركة استقلال داخل الصومال، إلى عام ٢٠١٧.

ولتعزيز مطالبتها بالاستقلال، قبلت حكومة أرض الصومال عرضًا إماراتيًا لإنشاء قاعدة عسكرية فى بربرة، التى أصبحت جزءًا من الشبكة التى تربط الجزر اليمنية وبوساسو.

تُظهر صور الأقمار الصناعية أن القاعدة البحرية فى بربرة قد حُوّلت بهدوء من مشروع متوقف إلى منشأة شبه مكتملة، ببنية تحتية متطورة تشمل ميناءً عسكريًا حديثًا، وحوضًا عميق المياه، ومهبطًا للطائرات مع حظائر ومرافق دعم، وقد تم تشييدها جميعًا.

ترجمة: فراج اسماعيل

المشهد
العدد 342 - السنة الرابعة عشر - 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

قالت العرب

إياك والرضى عن نفسك فإنه يضطرك إلى الخمول، وإياك والعجب فإنه يورطك ﻓﻲ الحمق، وإياك والغرور فإنه يظهر للناس كلهم نقائصك كلها ولا يخفيها إلا عليك...

طه حسين



السيناريو الكارثي: ماذا لو انهار السد الإثيوبي فجأة؟

سد النهضة من تهديد محتمل إلى واقع شديد الخطورة

على مدى عقد كامل بحت الأصوات المحذرة من أن سد النهضة يمثل قنبلة مائية موقوتة يمكن أن تمثل تهديدا لمصر والسودان إذا لم يتم التأكد من المواصفات الفنية عبر لجان مشتركة من البلدان الثلاثة أو أسيء استخدام السد وتم التعامل مع إدارته بشكل أحادى من جانب إثيوبيا ودون تنسيق مع دولتى المصب.







خسائر كبيرة بسبب الفيضان فى السودان وغرق قرى مصرية من طرح النهر

اتهام سودانى مصرى لإثيوبيا بسوء الإدارة وأديس أبابا تدعى براءة السد مما حدث





ماكان تهديدا محتملا تحول إلى تهديد ماثل، فبحسب بيان وزارة الموارد المائية والرى المصرية فإن تطورات فيضان نهر النيل لهذا العام، ارتبط بها تصرفات أحادية متهورة من جانب إثيوبيا فى إدارة سدها غير الشرعى المخالف للقانون الدولي. ووصفت الوزارة هذه الممارسات بأنها "تفتقر إلى أبسطٍ قواعدٍ المسؤولية والشفافية، وتمثل تهديداً مباشراً لحياة وأمن شعوبٍ دول المصب، كما تكشف بما لا يدع مجالاً للشك زيف الادعاءات الإثيوبية المتكررة بعدم الإضرار بالغير، وتؤكد أنها لا تعدو كونها استغلالا سياسيا للمياه على حساب الأرواح والأمن الإقليمي".

وشرحت الوزارة ماحدث فى الأيام الماضية بالقول: "كان من المفترض أن تبدأ إثيوبيا فى تخزين المياه بسدها بشكل تدريجى منذ بداية يوليو وحتى نهاية أكتوبر، ثم تقوم بتصريفها بشكل منظم لتوليد الكهرباء على مدار العام، غير أنه فى نهاية أغسطس لوحظ أن مشغلى السد الإثيوبى خالفوا القواعد الفنية والعلمية المتعارف عليها، حيث قاموا بتخزين كميات أكبر من المتوقع من مياه الفيضان مع تقليل التصريفات من نحو ٢٨٠ مليون م^3 إلى ١١٠ ملايين م^3 يوم ٨ سبتمبر ٢٠٢٥. وتدل هذه التصرفات على توجه إثيوبى متعجل نحو إتمام الملء بصورة غير منضبطة، بغرض الوصول إلى منسوب ٦٤٠ متر فوق سطح البحر، ثم فتح المفيض الأوسط ومفيض الطوارئ لساعات معدودة لاستخدامها فقط كـ"لقطة إعلامية" واستعراض سياسى فى ما سُمّى باحتفالٍ افتتاح السد يوم ٩ سبتمبر ٢٠٢٥، بعيداً عن أى اعتبار للسلامة المائية أو مصالح دول المصب.

ثم عمد المشغل الإثيوبى عقب انتهاء ما سُمّى بالاحتفال يوم ١٠ سبتمبر إلى تصريف كميات ضخمة من المياه، بلغت ٤٨٥ مليون م^3 فى يوم واحد، تلتها زيادات مفاجئة وغير مبررة فى التصريفات وصلت إلى ٧٨٠ مليون م^3 يوم ٢٧ سبتمبر، ثم انخفضت إلى ٣٨٠ مليون م^3 يوم ٣٠ سبتمبر، بما يؤكد الطبيعة غير المنضبطة والعشوائية لإدارة السد.

وأدى التقاء هذه الكميات الكبيرة وغير المتوقعة من المياه فى هذا التوقيت من العام، مع تأخر واختلاف مواعيد سقوط الأمطار داخل السودان، إلى جانب ارتفاع إيراد النيل الأبيض عن معدلاته الطبيعية، إلى زيادة مفاجئة فى كميات المياه نتج عنها إغراق مساحات من الأراضى الزراعية وغمر العديد من القرى السودانية.

وفى مواجهة هذه الظروف الطارئة، لم يكن أمام مشغلى سد الروصيرص السودانى خيار سوى تخزين جزء بسيط من هذهِ المياه وتمرير الجزء الأكبر عبر بواباته حفاظاً على أمان السد، نظراً لمحدودية سعته التخزينية.

وتسببت الإدارة الأحادية وغير المسؤولة للسد الإثيوبى فى تغيير مواعيد الفيضان الطبيعى – الذى تحدث ذروته عادة فى أغسطس – وإحداث "فيضان صناعى مفتعل" أكثر حدة وقوة فى وقت متأخر من العام مما ألحق خسائر فادحة بالسودان الشقيق وفقاً لتقارير مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA)، مهدداً حياة ومقدرات شعبى دولتى المصب. وأنه فى ظل هذه العشوائية والعبث فى الإدارة، يمثل السد خطراً دائماً ومستمراً على دولتى المصب خلال فترات الجفاف وفترات الفيضان.

فيضانات السودان

أصدرت وحدة الإنذار المبكر بالإدارة العامة لشئون مياه النيل فى وزارة الزراعة والرى السودانية، مساء الأحد، إنذارًا بشأن حدوث فيضانات على امتداد الشريط النيلي؛ وقالت إن المناطق المتأثرة بالفيضانات، هي: الخرطوم – نهر النيل – النيل الأبيض – سنار – النيل الأزرق. ودعت المواطنين إلى أخذ الحيطة والحذر، واتخاذ التدابير اللازمة لحماية الأرواح والممتلكات.

وحذرت وزارة الزراعة والرى السودانية، الجمعة ٣ أكتوبر، المواطنين القاطنين على شواطئ نهر النيل شمالى البلاد من ارتفاع مناسيب المياه، فى وقت تشهد فيه عدة ولايات خسائر كبيرة جراء الفيضانات المفاجئة.

ضربت الفيضانات ولايات سنار والجزيرة والخرطوم، وألحقت أضرارًا واسعة بالأنشطة الزراعية، وهددت الأمن الغذائى المحلي.

وأوضح بيان الوزارة أن هناك انحسارًا متسارعًا لمناسيب النيل بين الروصيرص فى إقليم النيل الأزرق والعاصمة الخرطوم، مقابل ارتفاع واضح للمناسيب فى القطاع الممتد من الخرطوم حتى كجبار بالولاية الشمالية، ما يستدعى من المواطنين اتخاذ جميع الإجراءات لحماية أرواحهم وممتلكاتهم. وأكدت الوزارة أن محطات الرصد المائية فى الخرطوم وشندى بلغت مرحلة الفيضان، مشيرة إلى أن ولايات نهر النيل والنيل الأبيض والخرطوم دخلت جميعها مرحلة الخطر.

وأدت الفيضانات إلى تشريد مئات الأسر فى القرى الواقعة شمال الخرطوم بحري، أبرزها الفكى هاشم وود رملى وواسي. ورغم تسجيل انحسار لافت لمستوى المياه يوم الجمعة الماضى (٣ أكتوبر)، إلا أن مصادر محلية أكدت لسودان تربيون أن المياه لا تزال تعوق الحركة وتتهدد منازل محاصرة بخطر الانهيار.

وفى وقت سابق، أطلقت غرفةٍ طوارئ محلية وادى حلفا إنذارًا عاجلا للسكان القاطنين على ضفاف النيل، محذرة من مخاطر متوقعة بسبب الارتفاع المستمر فى المناسيب، وداعية إلى الحذر واتخاذ تدابير وقائية عاجلة.

وأوضح اللواء قرشى حسين مساعد مدير الدفاع المدنى للشؤون الفنية والطوارئ والكوارث، أن الأضرار التى خلفها الفيضان حتى الآن انحصرت فى القطاع الزراعى بولايات سنار والجزيرة والخرطوم، مؤكدًا أنه لم يتم تسجيل أى حالات وفاة أو إصابة حتى اللحظة، فيما تستمر عمليات حصر الخسائر.

مصر: غرق قرى طرح النهر

فى مصر شهدت عدة محافظات ارتفاعًا فى منسوب مياه نهر النيل، ما أدى إلى غمر أجزاء من أراضى طرح النهر، وعدد من المنازل المقامة عليها، وأكدت وزارة الموارد المائية والرى أن ما تشهده بعض المناطق ليس فيضانا، بل هو ارتفاع فى منسوب المياه نتيجة التغيرات الموسمية فى تصرفات نهر النيل، بسبب تصرفات أثيوبيا الأحادية.

وحذرت الحكومة ساكنى طرح النهر والجزر بـ١٥ محافظة من ارتفاع مناسيب المياه

وقالت الوزارة إنها اتخذت إجراءات استباقية شملت مخاطبة جميع المحافظين فى ٧ سبتمبر ٢٠٢٥، للتنبيه على المواطنين بضرورة توخى الحذر واتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية ممتلكاتهم وزراعتهم المقامة على أراضى طرح النهر، موضِحة أن الأراضى التى غمرتها المياه مؤخراً هى بطبيعتها جزء من أراضى طرح النهر التى اعتاد النهر استيعابها عند زيادة التصرفات المائية عبر العقود الماضية. غير أن التعديات عليها بزراعات أو مبان بالمخالفة أدت إلى وقوع خسائر عند ارتفاعً المناسيب.

وأكدت وزارة الموارد المائية والرى أن الدولة المصرية بكافة أجهزتها تتابع الموقف على مدار الساعة، وأن السد العالى بما يملكه من إمكانيات تخزينية وتصريفية يمثل الضمانة الأساسية لحماية مصر من تقلبات النيل والفيضانات المفاجئة.

أصبح سكان طرح النهر ومعهم سكان الجزر النيلية معرضين للفيضان، وكانت أكثر الاراضى المهددة أراضى حرم النيل وتحديدا فى البحيرة والمنوفية، ومنها قرية دلهمو التابعة لمركز اشمون بالمنوفية.

ورغم أن مهندسى وزارة الرى قاوموا ضغوطا متعددة لتقنين التعديات على اراضى طرح النهر تحت دعوى الأمر الواقع.. أو السماح باستغلالها باى شكل من الاشكال.. وبعضهم تعرض لاعتداءات بدنية أثناء إزالة التعديات على النهر، إلا أن ذلك لم يمنع بناء البيوت وزراعة الأراضى التى تعرضت للغرق خلال الأيام الماضية.

نادر نور الدين: حسابات خاطئة

لكن د. نادر نور الدين عالم الموارد المائية والأراضى ألقى باللائمة فى غرق بعض القرى على وزارة الرى قائلا إن حساباتها خاطئة.

وقال نور الدين إن فيضانات السودان بسبب سوء ادارة لسد النهضة وفتح بوابات عديدة أكثر من سعة النهر ومن سعة السدود السودانية، لأن بحيرة سد النهضة أصبحت هى مصب النيل الأزرق حالياً وليس البحر المتوسط، وبالتالى ما يخرج منها هو مياه مقننة ومحسوبة تضخ فى مجرى النهر الذى أصبح مثل ترعة كبيرة تجرى فيها مياه مقننة ومحسوبة.

وبالتالى فإن فيضانات المحافظات المصرية أيضا هى فتح عدة بوابات فى السد العالى أعلى من سعة النهر وفروعه، لأنها ايضا مياه مقننة وليست مياه فيضانات حرة ولكننا نطلقها من بوابات السد العالى بحسابات وقدر، كما أن هناك مفيض توشكى بقدراته العالية ببواباته العشر، وليس من المقبول أن يكون ارتفاع مياه النهر والترع فى مصر أعلى من السودان نفسه وأن يظهر مُزارع يخرج من منزله والمياه تصل حتى صدره، وهو مالم نشاهده فى فيضانات السودان التى لم ترتفع المياه فيها أكثر مما يجاوز القدمين بفرق بسيط ، وبالتالِى فالأمر قد يحيطه حسابات خاطئه أيضاً وفتح بوابات عديدة تصرف مياها أكثر من سعة النهر وما يحيطه من أراضى طرح النهر والجزر النهرية وعددها ١٤٤ جزيرة وصولاً الى قها وادفينا فى شمال الدلتا.

وأضاف نور الدين قائلا: يبقى السؤال أين دور مفيض توشكي؟! واذا كان يعملٍ بكفاءته فلماذا لم نصرف المياه مبكراً وبكميات صغيرة طوال الاسبوع الماضي، خاصة أن المياه تستغرق اسبوعين حتى تصل الى السد العالى ومثلها حتى تصل الى محافظات الدلتا؟!

وأكد الخبير المصرى أن مايحدث الآن لم يحدث فى أعلى فيضان شهدته مصر عام ١٩٨٨ بعد سبع سنوات عجاف، واستمر لسبع سنوات سمان وأدارتها وزارة الرى بكفاء عالية جدا ولم نشعر بها، وكانت الوزارة تتحكم تماما فى مياه الفيضان وقبل وجود السد الاثيوبى الذى يحجز حاليا جزءا كبيرا من مياه الفيضان!؟

وأكد نور الدين أن وزارة الرى يجب أن تعلن وتفسر وتوضح لنا ماذا كان يمكن أن يحدث لنا فى حالة عدم وجود السد الاثيوبي؟!

الدكتور مصطفى مدبولى، رئيس مجلس الوزراء، من جانبه علق الخميس (١ أكتوبر) على تداعيات فيضان النيل، بالقول: "إن هناك استعدادات منذ فترة كبيرة، مشيرا إلى التوقعات خلال شهر أكتوبر أن يكون التصريف بكميات أكبر عن المعدلات المتوسطة، وسيكون هناك بعض المناطق طرح النهر والعشش التى ستغمر بالمياه خاصة فى المنوفية والبحيرة".

ويجرى فتح بوابات السد العالى – بحسب خبراء الرى– من فترة لأخرى لتخفيف ضغط المياه على جسم السد، عند زيادة منسوب المياه فى بحيرة ناصر، وهو ما حدث الآن بسبب سيول السودان وفتح بوابات سد النهضة الأثيوبى، مما يتسبب فى ضخ المياه إلى مجرى النيل، والتى تصِل لجسِم السد العإلى بمصر خلال ١٧ يوماً تقريباً.

ومع غرق أجزاء واسعة من الأراضى السودانية نتيجة الفيضانات، تصاعدت المخاوف فى مصر من احتمال تكرار سيناريو مشابه وغرق مساحات من الأراضى المصرية، وسط تقديرات إعلامية تشير إلى ضخامة كميات المياه القادمة من إثيوبيا، فى الوقت الذى تبادلت فيه السودان ومصر من جهة وإثيوبيا من جهة أخرى المسؤولية عن الفيضان فى السودان.

اتهام رسمي

القاهرة وعلى لسان بدر عبد العاطي، وزير الخارجية والهجرة وشؤون المصريين بالخارج، حَمّلت إثيوبيا مسؤولية المعاناة التى تضرر منها السودانيون فى عدة مناطق جراء فيضانات مدمّرة نتيجة ارتفاع منسوب مياه نهر النيل، مؤكدًا أن ذلك بسبب غياب التنسيق بشأن سد النهضة. وقال عبد العاطى إن عدم التنسيق مع إثيوبيا بشأن سد النهضة أدى إلى الفيضانات المروعة فى السودان، متهمًا إثيوبيا بانتهاك القانون الدولي. وأضاف أن المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود، مؤكدًا أن المشكلة ستتفاقم فى حال حدوث جفاف ممتد قد يستمر خمس سنوات، والذى يحدث مرة كل خمسين سنة، مما سيؤدى إلى أضرار كارثية لمصر والسودان، لأن نهر النيل نهر دولى يخضع للقوانين الدولية وليس لأى سلطة محلية.

وأشار عبد العاطى إلى أن مصر تتابع الأزمة عن كثب، وأن سد النهضة لم يُفرغ المياه تدريجيًا، بل تم ملؤه بشكل كامل منذ أغسطس ٢٠٢٤، ما أدى إلى تراكم المياه فوق السعة وفرض ضغوط هائلة على السدود السودانية، خصوصًا سد الروصيرص.

فى المقابل، رفضت إثيوبيا هذه الاتهامات، وقال وزير المياه والطاقة الإثيوبي، هبتامو إيتيفا جيليتا، إن وجود السد حال دون وقوع أضرار كارثية فى السودان جراء موجة الفيضانات الأخيرة، مؤكدًا أن العواقب لولا السد كانت لتكون أكثر خطورة. وشدد على أن السد يساهم فى الحد من الكوارث الطبيعية من خلال تنظيم تدفقات المياه وتقليل حدة الفيضانات ومنع وصول كميات هائلة مفاجئة إلى المجرى الطبيعي.

فى حين أوضح مدير مشروع سد النهضة، كيفليو أهورو، أن الأمطار الغزيرة كانت استثنائية، وأن إدارة السد اتخذت إجراءات احترازية شملت إغلاق البوابات، مع التنسيق المباشر وتبادل البيانات مع الجانب السوداني، موضحًا أن كميات المياه التى كانت ستصل إلى السودان كانت ستفوق ثلاث أضعاف الكميات الحالية بفضل السد. وأكد التزام بلاده بنشر البيانات اليومية حول تدفقات المياه الداخلة والخارجة من السد وجودة المياه.

ما حدث غير طبيعي

الدكتور عباس شراقي، أستاذ الجيولوجيا والموارد المائية بجامعة القاهرة، أكد إن الفيضانات التى اجتاحت السودان مؤخرًا جاءت فى توقيت غير معتاد، إذ ضربت البلاد فى أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر، وهى فترة يفترض أن تشهد تراجعًا فى معدلات الأمطار، لا ارتفاعها. وأوضح أن هذا الخلل المناخى ترافق مع تدفقات استثنائية من سد النهضة الإثيوبي، ما ضاعف من حجم الأزمة.

وقال شراقي، إن معدل الأمطار الطبيعى فى النيل الأزرق عند موقع السد يُقدّر بحوالى ٣٠٠ مليون متر مكعب يوميًا، إلا أن التصريف خلال الأسبوع الماضى تخطى ٧٥٠ مليون متر مكعب. وهذا يعنى أن نحو ٤٥٠ مليون متر مكعب جاءت من مخزون بحيرة السد بعد اكتمال عملية الملء، مؤكدًا أن أربع بوابات طوارئ تولت تصريف هذه الكميات، فى ظل توقف التوربينات المخصصة لتوليد الكهرباء، رغم إصرار السلطات الإثيوبية على الإعلان عن تشغيلها.

وأضاف أن التدفق الهائل للمياه تسبب فى أزمة مباشرة داخل السودان، حيث أعلنت وزارة الرى هناك حالة "الإنذار الأحمر" بعد أن تجاوز منسوب النيل فى الخرطوم ١٧ مترًا، وهو مستوى خطير يهدد السكان والبنية التحتية.

وأكد الخبير المصرى أن السد يعانى من أعطال أساسية منذ إنشائه، لافتًا إلى أن إثيوبيا أعلنت اكتمال الملء فى ٥ سبتمبر ٢٠٢٤، لكنِ واقع الأمر يكشف أن من أصل ١٣ توربينًا كان مقررًا تركيبها، لم يُثبت سوى أربعة، وهى متوقفة تمامًا. وأرجع ذلك إلى سبب جوهرى وراء تأجيل افتتاح السد رسميًا، معتبرًا أن أديس أبابا سعت إلى إخفاء هذه الحقائق أمام شعبها. وأوضح أن امتلاء البحيرة فوق طاقتها خلال موسم الأمطار أجبر إثيوبيا على فتح بوابات الطوارئ، ما أدى إلى فيضان مفاجئ اجتاح الأراضى السودانية، وبخاصةٍ عند سد الروصيرص الذى كان ممتلئًا أصلًا.

وأكد شراقى أن الفيضانات الحالية ليست طبيعية، بل مرتبطة مباشرة بتصرفات إثيوبيا المائية. وأوضح أن كميات المياه المصرفة يوميًا وصلت إلى ٧٥٠ مليون متر مكعب، وهو ما فاقم الضغط على سد الروصيرص، محذرًا من أن استمراره على هذا النحو الذى كان قد يهدد استقراره لولا خفض التصريف لاحقًا إلى أقل من ٤٠٠ مليون متر مكعب.

و شدد شراقى على أن السد العالى لعب دورًا تاريخيًا فى حماية البلاد من كوارث مماثلة. فبدون وجوده، يقول، كانت مصر ستواجه غرقًا واسعًا فى مناطقها الزراعية، وربما فقدت ما يصل إلى نصف أراضيها المزروعة نتيجة حجز إثيوبيا لنحو ١٠٠ مليار متر مكعب من المياه خلال السنوات الخمس الماضية. وتوقع شراقى أن تشهد المناسيب تراجعًا تدريجيًا، لكنه اعتبر أن ما جرى يمثل مؤشرًا خطيرًا على سوء إدارة سد النهضة، داعيًا إلى اعتماد نهج أكثر شفافية واحترافية فى تشغيله، خصوصًا خلال موسم الأمطار، لتفادى كوارث مستقبلية قد تطال السودان بشكل مباشر، ومصر بشكل غير مباشر.

ووصف الدكتور نادر نور الدين، أستاذ الموارد المائية بجامعة القاهرة، الفيضانات العارمة التى اجتاحت السودان بأنها "فيضان من صنع البشر"، مؤكدًا أنها ليست مجرد كارثة طبيعية. وإثيوبيا تتحمل المسؤولية الكاملة نتيجة سوء إدارتها لملء وتشغيل سد النهضة، مشيرًا إلى أن الخطأ الأساسى تمثل فى ملء بحيرة السد بكامل سعتها التخزينية البالغة ٧٥ مليار متر مكعب، بينما لم تكن كل التوربينات جاهزة للعمل.

وأوضح أن السد كان يجب أن يحجز كمية لا تتجاوز ٥٥ مليار متر مكعب بما يتناسب مع التوربينات المركبة بالفعل. وأضاف أن إثيوبيا بالغت فى الملء بهدف إعلان أنها حولت مجرى النهر إلى بحيرة ضخمة، وعندما جاء الفيضان الطبيعي، لم يكن أمامها سوى فتح البوابات بشكل مفاجئ وغير منسق، ما أدى إلى تحويل الفيضان المعتاد إلى فيضان مدمر وجارف أغرق القرى والحقول فى ولاية النيل الأزرق وسواها من المناطق المتأثرة.

وأشار نور الدين إلى أن هذا الواقع يؤكد صحة المطلب المصرى والسودانى بضرورة وجود اتفاق ملزم ومنسق حول قواعد الملء والتشغيل لسد النهضةٍ، لضمان عدم تكرار كوارث مشابهة مستقبلا. وأكد أن وجود المياه فى بحيرة السد يمكن أن يكون مفيدًا لمصر والسودان إذا تم تشغيل جميع التوربينات بشكل كامل ومنظم، مع ضرورة التنسيق لتجنب أى تأثير سلبى على المجارى النهرية والفيضانات المستقبلية.

السودان تتهم إثيوبيا

فى السودان، أعلنت وزارة الزراعة والرى أن ست ولايات تأثرت بشكل مباشر بفيضان النيل هذا العام، وهي: الجزيرة، سنار، النيل الأزرق، الخرطوم، نهر النيل، والشمالية. وأوضحت الوزارة أن مناسيب المياه تجاوزت مستوى الخطر فى عدة مناطق بالعاصمة الخرطوم، من بينها الشقيلاب والكلاكلة والريف الجنوبى على النيل الأبيض، إضافة إلى جزيرة توتى على النيل الأزرق.

ودعت السلطات السكان المقيمين على ضفاف النهر والجزر النهرية إلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية أنفسهم وممتلكاتهم من خطر السيول والفيضانات، مؤكدة أن إدارة الدفاع المدنى التابعة لقوات الشرطة تتحمل المسؤولية الرئيسية سنويًا فى التعامل مع تداعيات هذه الكوارث.

فى سياق متصل، أوضح موسى شيخو، نائب المسؤول فى مكتب الاتصالات الحكومى بإقليم أوروميا، أن الفيضانات فى السودان ليست ظاهرة جديدة، بل هى أحداث معتادة تاريخيًا، وغالبًا ما تكون مدمرة. وأشار شيخو إلى أن السودان شهد على الأقل ستة فيضانات كبيرة قبل بناء سد النهضة، كان أكبرها فى عام ١٩٨٨، مؤكدًا أن هذه الفيضانات كانت تحدث بشكل طبيعى ودون تدخل السد الإثيوبي.

وادعى شيخو إنَ ما يتم ترويجه إعلاميًا حول مسؤولية سد النهضة عن الفيضانات جزء من حملة إعلامية مشتركة بين مصر والسودان تهدف إلى الضغط على إثيوبيا للحصول على اتفاق يضمن مصالح مصر بطريقة قد تضر بالجانب الإثيوبي.

ماذا لو انهار سد النهضة فجأة؟

هذا الإفتراض أصبح ضرورى الإجابة عليه بعد ما حدث فى السودان ومصر الأيام الماضية من فيضانات وغرق أراضى وقرى بسبب فتح كل بوابات سد النهضة

يقول خبراء إذا انهار السد فجأة سيحدث موجة فيضان هائلة تنطلق من الهضبة الإثيوبية وستحرّر كتلة هائلة من المياه فى موجة فيضان سريعة (flood wave) تحمل معها طميًا وصخورًا وحطامًا. هذه الموجة قد تجتاح مجرى النهر بسرعة كبيرة، وتؤدى إلى انهيار سدود وموانع على طول المسار، وفيضان مدمر للمناطق السكنية والزراعية ووارد إنها تغير مجرى النهر.

فى السودان خلال ساعات ستحدث فيضانات مدمّرة تهدد سد الروصيرص وسد مروي.

وفى مصر بعد أيام قليلة ستصل المياه إلى بحيرة ناصر محمّلة بالطمى والصخور، مهددة الأراضى والمدن والبنية التحتية.

والسيناريو الأسوأ فى تلك الحالة سيكون انهيار سدود أخرى، دمار زراعى واقتصادي، تغير مجرى النهر، أزمة إنسانية ضخمة.

تقرير: هيباتيا موسى

المشهد
العدد 342 - السنة الرابعة عشر- 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

حرب غزة بعد مرور عامين ..

ماذا تغير وكيف سيكون مستقبل الصراع مع إسرائيل؟







بات واضحًا أن هجوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، الذى شنته حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وفصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى المتحالفة معها، انطلاقا من قطاع غزة، يُمثل علامة فارقة ونقطة تحول فى الصراع الرئيسى فى منطقة الشرق الأوسط والممتد منذ أكثر من قرن. فقد أطلق هذا الهجوم شرارة حرب هى الأطول والأوسع نطاقًا فى تاريخ الحروب الإسرائيلية- العربية، منذ حرب عام ١٩٤٨. والنتائج المترتبة على هذه الحرب الأخيرة قد تصبح نقطة تحول فى مسار هذا الصراع، مثلها مثل حرب عامى ١٩٤٨ و١٩٦٧، وما ترتب عليهما من نتائج رسمت ملامح الصراع. وبرز فى أعقاب حرب ١٩٦٧، مساران لتعديل نتائجها. فهناك أولا المسار العسكري، الذى بدأ بحرب الاستنزاف على الجبهة المصرية التى استمرت ثلاث سنوات (١٩٦٧-١٩٧٠)، وهو المسار الذى بلغ ذروته فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ على الجبهتين المصرية والسورية. وبرز المسار الثانى التفاوضى والذى بدأته مصر بمبادرة السلام التى طرحها الرئيس الراحل أنور السادات فى عام ١٩٧٧، وانتهى بتوقيع اتفاقيتين لإطار السلام فى الشرق الأوسط تم توقيعهما بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة فى كامب ديفيد عام ١٩٧٨، ثم معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل فى عام ١٩٧٩. واكتسب هذا المسار التفاوضى زخمًا بعد انعقاد مؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط فى أكتوبر ١٩٩١، فى أعقاب حرب تحرير الكويت أوائل ذلك العام، وهو المسار الذى فتح طريقا للمفاوضات بين إسرائيل وكل من الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، أدت إلى توقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، مع منظمة التحرير الفلسطينية، وتوقيع معاهدة سلام أنهت رسميا حالة الحرب بين إسرائيل والأردن، وتخلى الأردن بموجب هذه المعاهدة عن مطالبته بالضفة الغربية لصالح حل سلمى بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

أدت هذه الاتفاقيات إلى جانب قرار إسرائيل الانسحاب من جانب واحد من جنوب لبنان فى عام ٢٠٠٠، ثم من قطاع غزة فى عام ٢٠٠٥، إلى تعزيز النتائج التى ترتبت على المسار التفاوضي، خصوصًا أنه أدى، من منظور القانون الدولي، إلى ترسيم وتثبيت للحدود بين إسرائيل وكل من مصر والأردن ولبنان، وقد يؤدى الاعتراف بالدولة الفلسطينية إلى تثبيت حل الدولتين فى مواجهة محاولات إسرائيل والولايات المتحدة فرض حل الدولة الإسرائيلية الواحدة، الذى يقوم على ضم الأراضى الفلسطينية المحتلة وفرض السيادة الإسرائيلية عليها. وأدى تعثر «عملية أوسلو» وعدم إبرام اتفاق سلام نهائى بين إسرائيل والفلسطينيين، إلى تكرار المواجهات العسكرية بين إسرائيل وفصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة والفصائل داعمة لها، والتى امتدت أحيانًا إلى الجبهتين اللبنانية والسورية وشملت اليمن وإيران، لكن دون الوصول إلى حرب شاملة، باستثناء الحرب مع إيران التى استمرت ١٢ يومًا، رغم أن إيران ليست من دول الجوار الحدودية. وتم احتواء هذه المواجهات العسكرية السابقة التى تمحورت أساسًا حول قطاع غزة، باستثناء حرب عام ٢٠٠٦، بين إسرائيل وحزب الله باتفاقيات تهدئة وهدنة من خلال مفاوضات غير مباشرة بين إسرائيل وحماس عبر وسطاء إقليميين ودوليين.

وأعلنت إسرائيل موافقتها على الخطة التى أعلنها الرئيس الأمريكى دونالد ترامب يوم ٢٩ سبتمبر، لإنهاء الحرب فى غزة، وورود تقارير عن بدء تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة، بعدما أبدت حماس والفصائل الفلسطينية الأخرى رغبتها فى التوصل إلى اتفاق سلام ينهى الحرب، والتزامهم بتنفيذ البند الثالث، الذى يقضى بإعادة جميع الرهائن الإسرائيليين المتبقين لديها، أحياء وأمواتًا، مقابل انسحاب القوات الإسرائيلية إلى خط متفق عليه وتعليق جميع العمليات العسكرية والإفراج عن سجناء فلسطينيين وتسليم جثامين فلسطينيين قتلوا أثناء الحرب، حسبما نص البندان الثالث والرابع من الاتفاق. إلا أن قصف غزة استمر، ولا يعرف أحد ما إذا كانت ستنتهى بالفعل، فى ضوء استمرار العمليات العسكرية الإسرائيلية، رغم مطالبة الرئيس ترامب بوقف القصف فورًا، كى يتسنى إخراج الرهائن بأمان وسرعة، مشيرًا إلى خطورة التسليم فى ظل الوضع الراهن فى القطاع الذى وصفه بأنه خطير جدًا. ولا يعرف أحد كيف ستنتهي، هذه الحرب فى ضوء إصرار حماس والفصائل الفلسطينية الأخرى على إرجاء «مناقشة مستقبل القطاع لحين طرح القضية من خلال إطار وطنى فلسطينى جامع ستكون حماس من ضمنه وستسهم فيه»، الأمر الذى يُشير بوضوح إلى أن لديها تحفظات على باقى بنود الخطة التى جرى تقليصها إلى ٢٠ بندًا. وفى ضوء الفجوات التى لا تزال قائمة بين تصور حماس وحلفائها وبين التصورين الإسرائيلى والأمريكي. هناك تقييمات مختلفة للخطة التى وصفتها تقارير إعلامية دولية بأنها «طموحة للغاية»، بشأن تنفيذ بقية البنود، الأمر الذى يعنى أننا سنكون فى قطاع غزة فى حالة أقرب إلى حالة الوضع على الجبهة اللبنانية الآن، حيث تتمتع القوات الإسرائيلية بحرية تحرك كاملة فى التعامل مع ما تراه تهديدا من قبل حزب الله وتستهدف مقاتليه ومواقعه وتقييد كامل لأى رد من الحزب على الهجمات الإسرائيلية. وعلى الرغم من تصريح ترامب بأن الخطة تستهدف إقامة سلام دائم فى الشرق الأوسط، إلا أنها لم تتضمن أى بنود تتعلق بالضفة الغربية المحتلة.

أصوات يهودية قد تشجع الحكومات الغربية على اتخاذ مواقف لتقييد وكبح الروح العدوانية المسلحة لدولة الاحتلال وللجماعات اليهودية المتطرفة والمسلحة

ورغم أن الخطة تضمنت بنودًا إرشادية على قدر كبير من الأهمية، مثل تأكيد عدم إجبار سكان غزة على التهجير (البند ١٢)، وعدم إعادة احتلال قطاع غزة أو ضمه (البند ١٦)، وضمان استمرار دخول المساعدات إلى القطاع وتوزيعها، من خلال الأمم المتحدة ووكالاتها، والهلال الأحمر، بالإضافة إلى المؤسسات الدولية الأخرى غير المرتبطة بأى شكل من الأشكال بأى من الطرفين، واستمرار الآلية المطبقة بموجب اتفاقية ١٩ يناير ٢٠٢٥، بخصوص فتح معبر رفح فى كلا الاتجاهين، إلا أن البنود الأخرى والتصورات التى اقترحتها بخصوص مستقبل القطاع تمنح إسرائيل سيطرة فعلية أمنية وعسكرية على القطاع حتى بعد الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من القطاع، وفق البنود ١٣ و١٤ و١٥ من الخطة، التى تضمن لإسرائيل رقابة قوية ودولية على القطاع وتفرض قيودًا شديدة على الفلسطينيين، على نحو يعكس موازين القوة التى أسفرت عنها الحرب، وعلى الرغم من إقرارها بحق الفلسطينيين فى أن تكون لهم دولة مستقلة، إلا أنها لم تقدم التزامًا واضحًا بحل الدولتين أو أى جداول زمنية أو أى آليات محددة.

حدود استخدام القوة بعد الحرب

مثلت حرب غزة نقطة تحول تاريخية فى مسار هذا الصراع، فالنتائج التى أسفرت عنها هذه الحرب وطريقة حلها، ستحكم شكل الصراع ومساره لسنوات، وربما لعقود مقبلة، وسيكون لها تأثيرات بعيدة المدى على المستويين الداخلى والإقليمى تمتد إلى المستوى الدولي، إذ أكدت هذه الحرب البعد العالمى للقضية الفلسطينية على النحو الذى كشفته خطوة الاعتراف بالدولة الفلسطينية فى الأمم المتحدة الشهر الماضي، ويكشفه تضامن حركة المجتمع المدنى العالمية المتزايد مع الفلسطينيين وحقوقهم، والانقسامات الحادة فى الرأى العام حول سياسات الحكومة الإسرائيلية، التى تعد الحكومة الأكثر تطرفًا فى تاريخ دولة إسرائيل القصير نسبيًا (٧٧ عامًا)، والتى شملت جماعات يهودية فى العالم، على النحو الذى قد يضعف تهمة العداء للسامية التى لطالما وجهتها إسرائيل لأى انتقادات لسياسات حكوماتها.

لقد كشفت هذه الحرب مدى هشاشة التحالفات الأمريكية الأمنية والعسكرية والاستراتيجية مع الدول العربية ومع تركيا، إذ واجهت هذه التحالفات اختبارًا عمليًا بالهجوم الإسرائيلى على العاصمة القطرية الدوحة الذى استهدف قيادات من حركة حماس، وهو الهجوم الذى كشف المدى الذى يمكن أن تصله السياسات الإسرائيلية، الأمر الذى أثار مخاوف حلفاء آخرين لواشنطن فى منطقة الخليج وخارجها. كذلك كشفت الحرب عدم فاعلية الترتيبات الإقليمية الرسمية، من خلال أطر مثل جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامى على المستويين الإقليمى والدولي، والترتيبات والتحالفات غير الرسمية من خلال ما يعرف بمحور المقاومة، الذى شكلته وترعاه إيران، والمؤلف أساسًا من جماعات وفصائل شيعية موالية لطهران، إلى جانب الفصائل الفلسطينية السُنيّة، وأثار هذا التشكيل مخاوف لدى دول المنطقة وخارجها وشكوكًا فى الغرض الرئيسى فى صلة هذا التحالف بالتصورات الإيرانية للمنطقة. وكان للأمرين معًا تأثير على ميزان القوة بين إسرائيل والفلسطينيين، إذ أظهرت الحرب الأخيرة اختلال هذا الميزان بشدة لصالح إسرائيل، وقد زادت سلسلة من التطورات الإقليمية والدولية من اختلاله، بالرغم مما قد يبدو من جوانب ضعف بنائية وسياقية لدى إسرائيل. والواضح من مجريات الأمور أن الوضع الراهن يتطلب من الطرف الفلسطينى والأطراف العربية والدولية الداعمة اتباع ما يعرف باستراتيجيات التمايز التى توازن بين نقاط الهشاشة والضعف، مع الأخذ فى الاعتبار نقاط القوة التى تراكمت لصالح القضية الفلسطينية قبل هذه الحرب وأثناءها وبعدها، وحسابها بدقة، والانتباه إلى المتغيرات فى البيئات الثلاثة للصراع الداخلية والإقليمية والدولية، مع التركيز على الجوانب الأخلاقية والقانونية وعدالة القضية الفلسطينية والسعى لتطوير حركة التضامن العالمية لحصار السلوك العدوانى للحكومة الإسرائيلية الحالية ولأى حكومة قد تتشكل فى المستقبل. صحيح، أن هناك عوامل ضعف بنائية لدى إسرائيل كشفها هجوم السابع من أكتوبر، لكن لا ينبغى فى الوقت نفسه التقليل من قدرة إسرائيل على معالجة هذه العوامل وتعزيز التماسك الداخلى على نحو لا يتيح للطرف الفلسطينى استغلال التناقضات الداخلية بنفس القدر الذى تفعله إسرائيل فيما يخص التناقضات الداخلية على الساحة الفلسطينية وفى البلدان العربية الأخرى وعلى المستوى الإقليمي.

والسؤال المطروح على المستوى الفلسطينى والعربي، وربما الدولي، هو كيفية تقييد الحرية التى تتمتع بها إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة، فى شن الحرب ضد أى طرف فى المنطقة ترى أنه يشكل تهديدًا لأمنها، وهو سؤال تزداد أهميته مع صعود تيارات اليمين القومى والدينى الصهيونية وتزايد نفوذها السياسي، ذلك أن العقيدة المعلنة لكثير من المنظّرين والزعماء فى هذا التيار تقر بأن إسرائيل ليست فى حاجة لأى مبرر لمحاربة الفلسطينيين وطردهم وإقامة إسرائيل الكبرى، وإعادة بناء الهيكل فى القدس. لقد دفع سلوك إسرائيل العدوانى ضد الفلسطينيين فى غزة وفى الضفة الغربية، والتمادى فى استخدام القوة المفرطة وغير المتناسبة إلى حد يصل إلى شن حرب إبادة تنتهك كل المواثيق والأعراف الدولية، العديد من الدول الأوروبية إلى اتخاذ قرارات بعدم تصدير أى أسلحة لإسرائيل، وأعلنت بعض الحكومات الأوروبية أنها ستقوم باعتقال أى إسرائيليين مطلوبين للمثول أمام المحكمة الجنائية للاشتباه فى ارتكابهم جرائم حرب، وعلى الأطراف العربية وإسرائيل التفكير فى كيفية تطوير هذا الموقف لتقييد قدرة إسرائيل على شن حروب عدوانية ضد الفلسطينيين أو ضد أى دول عربية أخرى، خصوصًا إذا كان اختلال ميزان القوة العسكرية لا يوفر أى ردع لها. قد تكون إيران التى استطاعت تطوير قدرات عسكرية تمكنها من ردع العدوان الإسرائيلى عليها، وهو ما حققته مصر إلى حد ما من خلال الأدوات الدبلوماسية وأيضًا من خلال تطوير القوات العسكرية وتحديثها، وهو ما تشترطه السعودية مقابل توقيع اتفاق مع إسرائيل. وتضمنت بعض بنود خطة ترامب لإنهاء الحرب فى غزة، وكذلك فى الرد على الهجوم على قطر، بعض المؤشرات لهذا التوجه فى المستقبل لكنها لا تتناسب بأى حال مع حجم التحديات المصاحبة لصعود التيارات المتطرفة.

المعادلات الحاكمة للصراع

قد يكون من المفيد الوقوف على التغيرات التى طرأت على المعادلات الحاكمة للصراع وتأثير هذه التغيرات على المسار المستقبلى للصراع. المعادلة الأساسية الحاكمة مرتبطة بالتصورات الجذرية المرتبطة بجوهر هذا الصراع والمستمدة من تصورات دينية عامة تخضع لتفسيرات متباينة من حيث تشددها، وتضفى على هذا الصراع طابعًا دينيًا بين مطلقات إيمانية وغيبية، تتمحور حول تصورات للجماعات المختلفة عن تفسيرات دينية للتاريخ وللحوادث ونبوءات أخروية ترسم ملامح محددة للمستقبل. هذه التصورات لم تؤثر على إمكانية التعايش بين اليهود وأتباع الديانات الأخرى والاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها، بغض النظر عن معتقداتهم الخاصة. فالمشكلة ليست فى المعتقدات الإيمانية فى حد ذاتها وإنما فى تفعيلها فى الواقع من خلال توجهات أيديولوجية وسياسية من خلال تفسيرات متشددة للنصوص الدينية والضغط من أجل ترجمتها لسياسات عامة. والمشكلة الثانية فى حالة الصراع الإسرائيلي- الفلسطينى إنما تتمثل فى تسليط الضوء، لاسيما فى المجتمعات الغربية وفى العالم على التطرف الإسلامى والتجاهل التام لتأثير التطرف اليهودي، ربما كان لهذا الأمر صلة بطريقة التعبير عن التوجهات الدينية.



المشكلة الأساسية لهذه التفسيرات الدينية، سواء للصراع الإسرائيلي- الفلسطينى أو لأى صراعات أخرى، أنها تختزل الأسباب والعوامل الأخرى للقضية أو المشكلة على نحو يجعل من الصعب تفكيكها وحلها، وإذا أضفنا لهذه التفسيرات الدينية المتشددة السرديات الأيديولوجية للتاريخ العام وللتاريخ الخاص للشعوب والمجتمعات، يصبح الصراع صراعًا أبديًا وغير قابل للحل إلا باختفاء أحد طرفيه، أى يصبح صراعًا على الوجود لا الحدود. وبغض النظر عن إمكانية تصفية وجود أى من طرفى الصراع، والتى نجد لها تعبيرات محددة فى المواقف المتطرفة، مثل التصريحات الصادرة عن الزعماء الدينيين أو السياسيين الإيرانيين عن ضرورة محو إسرائيل من على الخريطة، أو نجد تعبيرات لها فى تصريحات مسؤولين سياسيين وزعماء دينيين، من التيارات المسيحانية اليهودية أو مسيحية عن ضرورة طرد الفلسطينيين أو قتلهم وإقامة المملكة اليهودية التى تمهد لقدوم المسيح والحكم الألفي، فإن مثل هذه التصريحات لها تأثير عملى فى إدراك الأطراف المتصارعة عن أهداف الطرف الآخر ونواياه، وتدفع فى لغة الخطاب السياسى العام توصيفات لا علاقة لها بالواقع وإنما بإدراكه، على النحو الذى يمكن استكشافه من التصريحات التى أطلقت من الزعماء الإسرائيليين عن أن هجوم السابع من أكتوبر يمثل تهديدًا وجوديًا لإسرائيل، والحديث المتكرر عن أن قيام دولة فلسطينية يشكل تهديدًا وجوديًا. وتعزز بعض التصريحات الصادرة من بعض الزعماء فى محور المقاومة هذا الإدراك، ليس من قبل إسرائيل وحدها وإنما من قبل الرأى العام العالمي. أدى التركيز الشديد على هذا التهديد إلى تجاهل السياسات الفعلية التى تمارسها إسرائيل فى قطاع غزة من خلال حرب الإبادة والتهجير، والتى لم يلتفت الرأى العام العالمى لها إلا بعد شهور من اندلاع الحرب وما صاحبها من فظائع. واستغلت إسرائيل بعض الآراء التى تبرز من خلال منصات إعلامية لها تأثير كبير على الجمهور التى عبر عنها المناصرون لمحور المقاومة الذين يرددون كثيرا أنه لولا الدعم الغربى لإسرائيل بعد هجوم السابع من أكتوبر لمنيت بهزيمة ساحقة تكتب نهاية الدولة والمشروع الصهيوني، والحديث المتكرر لنتنياهو عن أن إسرائيل تخوض حربا من أجل الدفاع عن الحضارة الغربية، إنما كان لحشد الدعم والتصدى للانتقادات الموجهة لسياستها.

يشير البند ١٨ من خطة ترامب إلى «إطلاق عملية حوار بين الأديان» بعد إنهاء الحرب فى غزة، وأن هذا الحوار يقوم على «قيم التسامح والتعايش السلمي»، وهدفه هو السعى «لتغيير عقليات وتصورات الفلسطينيين والإسرائيليين، من خلال التأكيد على منافع السلام»، وتحدث البند ٢٠، من الخطة عن إطلاق حوار «بين إسرائيل والفلسطينيين للاتفاق على أفق سياسى لتعايش سلمى ومزدهر»، إن مثل هذه الأفكار ربما تستند إلى نتائج استطلاعات للرأى سابقة على حرب غزة تشير إلى أن غالبية الإسرائيليين والفلسطينيين يريدون السلام، لكن المشكلة فى وجود مُفسدين أيديولوجيين من كلا الجانبين، وفى الشكوك التى تساور كل طرف فى نوايا الطرف الآخر. ويرى المختصون فى الشؤون الإسرائيلية وفى الصراع العربى الإسرائيلي، أن من شأن معالجة هذا الأمر أن يفتح الطريق للمضى قدمًا فى إيجاد حل سلمي. لكن قبل الاستطراد فى مناقشة هذه النقطة، فإننا فى حاجة ماسة لتحديث استطلاعات الرأى هذه بعد حرب غزة وتحليل نتائجها من أجل الانطلاق من الواقع وحقائقه بدلا من السير وراء التصورات.

مستقبل الصراع بين اليأس والأمل

هناك عوامل كثيرة جعلت الحرب الراهنة فى غزة مختلفة فى جوانب كثيرة عما سبقها من مواجهات عسكرية بعد الانسحاب الإسرائيلى من القطاع أواخر عام ٢٠٠٥، والذى جاء بعد مرور خمسة أعوام على انتفاضة الأقصى التى أعقبت فشل التوصل إلى اتفاق بخصوص صيغة الحل الدائم للصراع الإسرائيلي- الفلسطينى فى مفاوضات كامب ديفيد الثانية فى عام ٢٠٠٠، والتى حددتها اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣. وعمقت التطورات على الساحة السياسية الإسرائيلية منذ عام ٢٠٠٠، انعدام ثقة الطرف الفلسطينى والأطراف العربية بشكل عام فى إمكانية إحلال السلام فى المنطقة، وعززت الاعتقاد بأن المطروح، لاسيما بعد الاتفاقيات الإبراهيمية والحديث عما يعرف بصفقة القرن، أن ثمة حل يجرى الترتيب له على يقوم على فكرة تصفية القضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني. وأدى حديث نتنياهو عن أن الهدف الذى يسعى لتحقيقه هو إقامة «إسرائيل الكبرى» إلى توسيع أزمة الثقة فى النوايا الإسرائيلية لتشمل أطرافًا عربية أخرى. مثل هذه السياسات والتصريحات ولدت حالة من اليأس لدى الفلسطينيين امتدت إلى الشعوب العربية، ومن شأن هذه الحالة أن تؤجج مشاعر الغضب ليس بسبب السياسات العدوانية الإسرائيلية، وإنما إزاء السياسات العربية التى تظهر مستوى من العجز الشديد وامتهان الكرامة، ودفع العديد من الأجيال الشابة إلى فتح نقاش جدى حول الأولويات على النحو الذى كشفته مظاهرات المغرب التى تتطلب تحليلًا دقيقًا لدوافعها وللشعارات التى ترفعها. هذه المظاهرات قد تكون مؤشرًا لما هو قادم فى بلدان أخرى فى المنطقة، أو تدفع كثير من الحكومات إلى مراجعة سياساتها تجاه الفلسطينيين وإسرائيل.

إن أى جهود لإقامة حوار حول التعايش ستفشل ما لم يتم التعامل بحزم مع التطرف الإسرائيلى الذى انتقل من مرحلة الآراء الخاصة لجماعات هامشية وخارجة على القانون، مثل حركة كاخ التى أسسها الحاخام المتطرف المولود فى نيويورك مائير كاهانا الذى اغتاله مهاجر مصرى هناك فى عام ١٩٩٠، هذه الحركة هى المنظمة الأم التى انبثق منها العديد من الأحزاب اليمينية المتطرفة التى أصبحت شريكًا مؤثرا فى الحكومات الإسرائيلية خلال العقدين الماضيين. لكن ثمة بارقة أمل تتمثل فى تزايد الأصوات اليهودية داخل إسرائيل أو خارجها التى تنبه إلى خطورة هذه الجماعات المتطرفة ليس فقط على مستقبل إسرائيل وإنما على مستقبل اليهود فى العالم. من هذه الأصوات الحاخام يسرائيل دوفيد وايس، وهو ناشط مناهض للصهيونية والمقيم فى نيويورك، وأحد أبرز المنتقدين لإسرائيل وقادتها ويُشير إلى أن الجرائم التى يرتكبونها فى غزة، أدت إلى حالة خطيرة يواجه فيها اليهود العاديون فى أنحاء العالم عداءً بسببه، ويرى أن الحركة الصهيونية تتعارض مع مبادئ اليهودية، وتغذى معاداة السامية وتُعرّض المجتمعات اليهودية فى أنحاء العالم للخطر، نتيجة للصورة النمطية التى تضفيها هذه الممارسات التى ترتكبها إسرائيل باسم اليهود. هناك دراسات عديدة ليهود كشفت المدى الذى يمكن أن يصل إليه التيار اليمينى التصحيحى أو الإحيائى فى الحركة الصهيونية بداية من الصفقات السرية التى عقودها مع النازى فى ألمانيا والفاشية فى إيطاليا فى الثلاثينات، لدفع اليهود فى بلدان أوروبا للهجرة إلى فلسطين، والتى نشر وثائقها لينى برينر، وهو كاتب يهودى يقيم أيضا فى نيويورك فى كتاب بعنوان «الصهيونية فى زمن الدكتاتورية»، الذى صدر فى عام ١٩٨٣، وترجمه الدكتور محجوب عمر للقراء العرب فى طبعة صدرت فى عام ١٩٨٥.

وواجه هذا الكتاب حملة شعواء من وسائل الإعلام الأمريكية والعديد من الدوائر المرتبطة بالمؤسسة الأمريكية وبالصهيونية مما دفع المؤلف إلى نشر دراسة أخرى عن اليهود فى أمريكا، نشرها فى كتاب صدر عام ١٩٨٦، قدم فيه توثيقًا للحملة التى تعرض بسبب الكتاب والتى كانت دافعًا له لدراسة الوضع الراهن للجماعات اليهودية فى الولايات المتحدة التى وصفها بأنها أرض الميعاد الحقيقية بالنسبة للغالبية الساحقة لليهود فى العالم. والحرب التى تشنها الصهيونية على هذه الأصوات اليهودية المعادية للصهيونية شعواء، ويلجأ فيها الصهاينة وأنصارهم إلى العنف والترويع والقمع على النحو الذى أوضحه الحاخام دوفيد وايس الذى اتهم الصهاينة بالتحريض المباشر على الكراهية ضد اليهود لتحقيق أجنداتهم الخاصة، مشددًا على أن الصهيونية حركة قومية علمانية تُشوّه الهوية اليهودية وتمثل تفسيرًا خاطئًا لماهية اليهودية من جميع النواحي. لكن هناك أصوات يهودية أخرى علمانية، من اليمين واليسار، تعارض الصهيونية وهم مكون رئيسى فى حركة التضامن العالمية مع الفلسطينيين والمناهضة لإسرائيل وسياساتها، وينضم عشرات الآلاف منهم للمظاهرات فى أمريكا وفى أوروبا. وهذه الحركات اليهودية المعارضة للصهيونية ولإسرائيل وسياساتها موجودة منذ بداية الحركة الصهيونية، لكن صوتها لم يكن مسموعًا بسبب سياسات الحكومات الأوروبية التى أوجدت ما يعرف بـ «المسألة اليهودية» فى الفترة التى تزامنت مع بروز «المسألة الشرقية». وعلا صوت هذه الجماعات وأصبح مسموعًا منذ الانتفاضة الفلسطينية فى عام ١٩٨٧، وحطمت الصورة النمطية التى رسمتها الدعاية الصهيونية والغربية للشخصية اليهودية.

لكن هذه التحولات لم تحظ بالاهتمام الكافى من الباحثين والدارسين والكتاب العرب، الذى يميل خطابهم إلى التركيز على ما يعتبرونه ثوابت حاكمة للموقف من إسرائيل ومن اليهود المقيمين فيها، رغم تأكيدهم المتكرر عن تمييزهم بين اليهود والصهيونية. قد تشجع هذه الأصوات اليهودية الحكومات الغربية على الانتقال من انتقاد السياسات الإسرائيلية دون خوف من اتهامهم بمعاداة السامية، إلى اتخاذ مواقف عملية ومؤثرة على نحو يساعد فى تقييد وكبح الروح العدوانية المسلحة للدولة وللجماعات اليهودية المتطرفة والمسلحة فى الداخل والتى تستهدف الفلسطينيين فى إسرائيل وفى الأراضى الفلسطينية المحتلة على حد سواء. ثمة مؤشرات فى خطة ترامب تشير إلى تأثير مثل هذا الوعى الجديد الناشئ على المستوى الرسمى العام فى البلدان الغربية، والسؤال المطروح الآن كيف يمكن الإمساك بهذه الفرصة والبناء عليها من أجل تغيير الوضع الراهن وتعديل الميزان المختل، والنجاح فى هذا التحرك مرهون بالتزامنا بالمبادئ الإنسانية العامة ونبذ الكراهية.

بقلم: أشرف راضي

قالت العرب

عمر الخيام

المشهد
العدد 342 - السنة الرابعة عشر- 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

ربط الأصوليات بالبيئات المنغلقة والريفية وإبعاده عن المدن فرضية خاطئة

الأصوليات تغزو المدن الغربية الحديثة

كانت الصحوة الدينية التى بدأت تظهر فى أواخر السبعينيات من القرن الماضى فى أماكن مختلفة حول العالم ظاهرة مفاجئة للكثير من علماء الاجتماع، على عكس التوقع السائد بأن العلمانية الأوروبية آخذة فى التوسع والانتشار لكن ذلك لم يحدث، فقد افترض علماء الاجتماع أن عمليات التحديث بتمايزها المؤسسى وتمدنها ستؤدى إلى تراجع النفوذ الدينى من المجال العام وتقصره على المجال الخاص؛ لكن ما حدث كان عكس التوقع، فقد أخذت أعداد متزايدة من التنظيمات الأصولية المنبثقة من أتباع مختلف المعتقدات حول العالم تطالب بحقها فى المجال العام وأن يكون لهم صوت مسموع فى الشأن السياسي، وحاول بعضهم فرض أنظمة حكم جديدة قائمة على العقيدة الدينية، بعضها فى إطار سلمى وآخر انخرط فى أعمال عنف من أجل تأسيس هذه الرؤية. وكان أول الباحثين الذين أدركوا هذه الظاهرة ــ صعود الأصولية ــ الباحثان مارتن إ مارتى وسكوت أبلبى (Martin E Marty and Scoott Appleby) فى أوائل تسعينيات القرن الماضى فى إطار مبادرة دعت إليها الأكاديمية الأمريكية للعلوم والفنون بعنوان «مشروع الأصولية» واستمرت من ١٩٨٨: ١٩٩٣م قام الباحثان خلالها بعقد عشرة مؤتمرات ضمت مائة خبير صدرت أبحاثهم فى خمسة مجلدات، ولم تتوقف بعدها الأبحاث والمؤتمرات فى شتى المجالات العلمية السياسية والاجتماعية والعسكرية لمناقشة ظاهرة صعود الأصوليات حول العالم من زوايا مختلفة كان من بينها كتاب «المدينة الأصولية.. عن ممارسات التدين والتطرف وآثارهما على العمران» الذى نشر باللغة الإنجليزية عام ٢٠١١م وترجمته إلى العربية هالة حسين عام ٢٠٢٣م، عن (دار المرايا للثقافة والفنون فى القاهرة). ويضم ١٢ بحثًا لباحثين من جنسيات وأصول مختلفة حول العالم تهدف إلى فهم الإجراءات العمرانية التى من خلالها تتحول الحركة الدينية إلى حركات أصولية متشددة قد تنخرط فى تكتيكات لفرض سيطرتها بصورة تعيد تشكيل الحياة داخلها وتعيد تشكيل شكل المدنية وهويتها وطابعها العام.

ردة فعل

وتوضح هذه الأبحاث الأسباب التى يعزى إليها انتشار الأصوليات حول العالم، التى جاءت فى كثير من بلدان العالم كرد فعل على الحداثة، ومعارضة للعلمانية وأعراف العالم الحديثة لا سيما التى أزاحت الدين من الوجه العام وهمشت دوره. ففى أمريكا على سبيل المثال كانت الأصولية رد فعل دينى على السياق الثقافى المتغير داخل المدينة الأمريكية مع بداية القرن العشرين حيث رأى الأصوليون أن الحداثة العلمانية كانت تنتقل إلى الكنائس أيضًا، وأن الكنائس الليبرالية جرى إفسادها وأصبحت غير حريصة على الحفاظ على جدار الفضيلة.

ونشأ مصطلح الأصولية كمفهوم يصف ردة الفعل الدينية تلك فى عشرينات القرن الماضى فى أمريكا وبالتحديد لوصف تحركات البروتستانت الإنجليين الذين نشروا سلسلة من المبادئ الأساسية للعقيدة المسيحية للحفاظ عليها مما أصابها من انحراف من وجهة نظرهم، وشددوا على مثالية الإنجيل وألزموا استخدامه كوثيقة نصية تاريخية ملزمة ثم توسع استخدام هذا المفهوم فى السبعينيات والثمانينيات واستخدم لوصف الجماعات التى تعاملت مع الدين بشكل صارم واكتسب دلالات سلبية حيث يعنى بات ضمنينا أن الأصوليين متطرفون وغير عقلانيين وتفسيراتهم وممارساتهم الدينية تتسم بالتخلف وتقود إلى التراجع. وإن كان تعريف الأصولية فى القواميس مثل قاموس أكسفورد بأنها «الالتزام الصارم بالمعتقدات أو المذاهب التقليدية المنغلقة» وفى قاموس الأمريكان هيريتج هى «التمسك الصارم بأى مجموعة من الأفكار أو المبادئ الأساسية» لكن فى الفضاء العام وعلى صفحات الشبكة العالمية يشيع استخدامه من المنطلق الدينى ويقصد به تجسيد لحالة عنف مَرَضية، وتساوى كثير من الأبحاث العلمية فى علم النفس والطب النفسى بيت الأصولية والأعمال الإرهابية التى يرتكبها هؤلاء الذى دربوا على الخضوع لطرق تفكير مغايرة.



الهجرات

ومن الأسباب التى يفسر بها الباحثين قوة الصحوة الدينية المتشددة على الصعيد الوطنى بخلاف كونها ردة فعل على الحداثة وعلى الاستعمار وتأكيد على الهوية القومية، الهجرات من الريف إلى المدن حيث ينفصل المهاجرون عن شبكاتهم الاجتماعية السابقة فيجدون ذواتهم محاصرين بصدمة الحداثة والبحث عن الهوية فيأتى الدين ليلبى بعد احتياجاتهم، والمنطق نفسه يستخدم على الصعيد الدولى لتفسير وضع الذين هاجروا إلى أوروبا وأمريكا من البلاد التى كانت مستعمرة فى السابق. فيتحول الدين إلى هوية تجمع أكبر قدر من هذه الجاليات لتعبر عن مصالحها النفسية والاجتماعية والسياسية وسط عالم ما بعد حداثى تذوب فيه الفواصل.

سمات مشتركة

وتشترك هذه الجماعات الأصولية باختلاف الأديان التى تنتمى إليها فى سمات عامة حددها ستيف بروس فى خمسة ملامح على الأقل أولها: بأنها تعتمد على مصدر واحد أكثر للأفكار مثل النصوص الدينية التى تعد المصدر الكامل المعصوم من الخطأ، ثانيها: أن الأصولية تمثيل لماضى مثالى يعبر عن الأوضاع الدينية كما كانت فى الأصل، وثالثها: رغم أن الأصولية مبنية على ماضى ذهب وولى، فإنها تستحضر هذا الماضى المتخيل لتطبيقه على متطلبات الزمن الحالي، ورابع ملمح للأصولية: هو ميلها للبحث عن الدعم فى إطار المجموعات المهمشة واكتساب ولائها، وخامسها: أن هذه الأصوليات تتبنى التكنولوجيا الحديثة وتستخدمها لفرض رؤيتها الخاصة للعالم. كما يضيف علماء آخرون سمات أخرى للأصولية من زوايا مختلفة مثل الخصائص النفسية التى تميز المشاركين فى هذه الجماعات من السعى إلى السلطة والتشهير بالآخرين ومعارضة مبدأ الشك، وخلق الانقسامات من خلال ترسيخ فكرة الثنائيات نحن وهم، الخير والشر، والعدوانية المحتملة أو الفعلية. بينما يؤكد باحثون آخرون على السمات المبنية على الأسطورة فى الأيديولوجيا الأصولية مثل توقع قدوم عصر ذهبى مثالي، ومعارضة عملية التمايز المؤسسى العالمي.

ويحدد نزار الصياد فى بحثه المنشور داخل الكتاب خمسة سمات للمدينة الأصولية تتمثل فى أنها مدينة تقوم بشكل قاطع عن طريق القانون أو التقاليد أو عبر سياسات معلنة أو ممارسات مبطنة بإقصاء أفراد منتمين إلى دين آخر أو مجموعة إثنية أخرى مختلفة عن انتماءات من هم فى السلطة الحاكمة أو من يمثلون الأغلبية من السكان، مدينة تكون الأقلية فيها دينيًا أو عرقيًا ممنوعة من خدمات عمرانية أساسية أو من أماكن عامة، مدينة تتوقع فيها الأغلبية الدينية أن الأقليات سيلتزمون بكل الشعائر الخاصة بالسلوك العام الذى تنص عليه الأحكام الدينية الخاصة بالأغلبية، مدينة يصل فيها الفصل على أساس النوع الاجتماعى (الجندر على سبيل المثال) حسب ما تقرره السيطرة الذكورية على المجتمع لدرجة أن النساء بالكاد يستطعن التواجد فى الأماكن العامة.

الريف والمدينة

رسخ فى الأذهان ربط الأصوليات بالبيئات المنغلقة والريفية وإبعاده عن المدن وهو ما يفنده إنجز فورست فى بحثه عن نمو الأصولية فى المدينة، موضحًا أنه فى سبعينات القرن الماضى تعرضت أطروحة العلمنة للهجوم الشديد ومن قبل علماء الاجتماع الذين رأوا أن هناك نقصًا فى الأدلة التجريبية الداعمة لها، فقد شكك علماء الاجتماع الإصلاحيون فى الافتراض القائل بالتمدن يؤدى تلقائيًا إلى تراجع الدين، وأيضًا انتقد بعض المؤرخين فكرة تبسيط ثنائية الريف والحضر التى وفرت الأساس الداعم للرؤية المنغلقة بتراجع الدين فى المدينة التى افترضت أن الدين يزدهر فى الريف، بينما المدينة بيئة معادية له، إلا أن الدراسات التاريخية من أوروبا أشارت إلى أن قيادات الكنائس فى القرن التاسع عشر سريعًا ما تكيفوا واستجابوا للتغير الاجتماعى وتباينت نتائج جهودهم، فى حين شهدت بعض المدن نموًا دينيًا شهدت مدن أخرى تراجع الإقبال على كنائسها لكنها شهدت أيضًا استقرارًا فيما يتعلق بالطقوس الانتقالية. كما أن هناك تواصل أكبر كان بين المدينة والريف أكثر مما أقرته الرؤية المنغلقة حيث جلب المهاجرون معهم ثقافتهم الدينية، وبالتالى فإنه أهمية الدين فى المجتمع ظلت مصانة أو حتى زادت فى العديد من المدن الأوروبية، ومع عصر ما بعد الصناعة وانتشار مجتمع المعرفة تشير الدراسات إلى أن المدينة الحديثة تظل بها مساحات واسعة تسمح بنمو التنظيمات الدينية الحديثة مثل التبشير الإنجيلى فى أميركا والتى نشأت جميعها فى أماكن حضرية. وهذا التنوع الدينى فى المناطق الحضرية يكاد يكون الوصفة المؤكدة لخلق الصراعات ففى حين الجماعات الدينية المنفتحة والمتسامحة نسبيًا تستطيع أن تتعايش معًا فى سلام فإن المعتقدات الدينية الأكثر ميلًا إلى الإقصاء تجد صعوبة فى تحمل هذا التعايش خاصة إذا كانت تسعى للوصول إلى مراكز السيطرة وهذه الصراعات يزيد من حدتها وجود مصادر جيدة للانقسام الدينى مرتبطة بالطبقة الاجتماعية والاختلافات الإثنية والخلاصة أن المدن الحديثة قد تجمع بين ارتفاع نسبة التنوع الدينى بها وانخفاض نسبة القبول المتبادل بين هذه المعتقدات.

مدن تخلق التعصب

توفر المدن الحديثة الأساس لنمو الطبقات الأصولية حيث تخلق الوعاء الذى يضم مجندين محتملين، بسبب الكثافة السكانية بها عكس الريف مما يسهل من عملية التجنيد، بينما يحاول عموم الناس التكيف مع الأوضاع الحضرية الجديدة تأتى المنظمات الأصولية لتقدم فلسفات وهياكل ومؤسسات بديلة تعمل على احتفاظ المجتمع بقيم تقليدية معينة. حيث تعتمد هذه التنظيمات على تجنيد الغرباء فى المناطق الحضرية العامة والخاصة، وتستخدم وسائط الإعلام الجماهيرى فضلا عن الشبكات القائمة سلفًا مثل الشبكات غير الرسمية وشبكات المنظمات الرسمية، ففى النهاية توفر المدن العديد من الطرق للحركات الأصولية لكى تقوم بالحشد والتعبئة وتؤسس نفسها. ويكشف ذلك عن عدم صحة الفرضية التى افترضها علماء الاجتماع والمؤرخون فى وقت سابق بأن التحديث والتمدن فى أوروبا سيؤدى فى نهاية المطاف إلى مدن غير دينية، غير أن واقع الحال والباحثين المعاصرين يدركون أن الحيز الحضرى لنمو الأصوليات والصراع الديني. وهو الواقع الذى باتت تحذر من مآلاته كثير من الأعمال الأدبية والسينمائية مثل رواية الجارية لمارجيت آتودد وغيرها من الأعمال الديستوبية التى تأخذ على عاتقها كشف ما يمكن أن يحدثه تنامى الأصوليات ليس فى دول العالم الثالث وحده وإنما فى صلب دول العالم الأول.

ويقدم الباحثون فى الكتاب مجموعة من النماذج الأصولية الفعلية التى أدت تغيير الحيز العمرانى وتبديله وتهديد أمن الأقليات كما هو الحال فى مدينة دلهى وأحمد أباد فى الهند، وما يجرى فى دولة فلسطين، وممارسات وتجربة حزب الله فى بيروت، وطالبان فى بيشارو فى باكستان، وفى البرازيل، والأصولية البروتستانتية فى أمريكا.

د. عبدالكريم الحجراوي

بين جدار الرفض الديني وصمت الدولة وآلاف القصص التي لم تكتمل

الزواج المدني الممنوع في مصر

فى شوارع القاهرة والإسكندرية ومدن الصعيد، يعيش آلاف الشباب والفتيات على أمل مؤجل، لا هم قادرون على إتمام زواج يحلمون به.. ولا المجتمع والدولة يمنحانهم الحق فى اختيار شكل العلاقة التى تناسبهم.. السبب بسيط فى ظاهره لكنه شديد التعقيد فى عمقه: غياب قانون يعترف بالزواج المدنى فى مصر، بين رفض الأزهر من ناحية ورفض الكنيسة من ناحية أخرى، يتجمد مصير بشر لا يملكون سوى أن ينتظروا، أو أن يلتفوا على القانون بطرق ملتوية أو أن يهاجروا إلى بلد اخر يعترف بحقهم فى ان يحبوا ويتزوجوا وفق قناعاتهم..

المعضلة هنا ليست ترفا فكريا ولا نقاشا نخبويا، بل قضية تمس الحياة اليومية، وتضع الاف المواطنين فى مأزق وجودى بين الحب والهوية، وبين القانون والدين، وبين ما يريدونه وما يسمح لهم به..

- حكايات مؤجلة

منال (اسم مستعار) شابة فى بداية الثلاثينات ارتبطت بشاب مسلم وهى مسيحية.. تقول: أنا وهو عايشين قصة حب بقالها ست سنين.. لكن ما ينفعش نتجوز لا الكنيسة هترضى ولا الأزهر عنده حل لينا، كل اللى نقدر نعمله إننا نعيش فى سرية أو نهاجر، لكن ليه؟ ليه نتحرم من حقنا الطبيعي؟

منال ليست وحدها، محمود (اسم مستعار) ٢٩ سنة مسلم سنى أحب فتاة شيعية أثناء دراستهما بالخارج، عاد الاثنان إلى مصر حاملين أحلام الزواج، لكن عائلتيهما رفضتا بشدة ولم يجد القانون منفذا لتوثيق عقد مدنى يرضى الطرفين. اما أن تتحول الفتاة إلى المذهب السنى لنتزوج، بما يرفضه أهلها أو أن نفترق، "كأن الدولة تقول لنا الحب مش ليكم" يقول محمود بمرارة..

وفى حالات أخرى يكون الطرفان من طوائف مسيحية مختلفة، فيتعطل الزواج لأن الكنيسة لا تسمح بعقود مختلطة بين الأرثوذكس والكاثوليك أو البروتستانت، هذه التعقيدات تضع مئات القصص فى خانة المستحيل فيتجه البعض إلى الزواج العرفى أو إلى السفر لقبرص واليونان لعقد زواج مدنى هناك ثم العودة لمحاولة إثباته فى مصر..

- موقف الأزهر: انفصال عن هوية المجتمع..

الأزهر باعتباره المرجعية الإسلامية الكبرى فى مصر أعلن أكثر من مرة رفضه لفكرة الزواج المدني، يرى أن الزواج عقد شرعى لا يقوم إلا بشروط محددة، أهمها الولى والشهود وتوثيق العقد وفق الفقه، وأى عقد مدنى مستقل عن هذه الشروط يعتبر باطلا..

فى أحد تصريحاته قال عضو هيئة كبار العلماء: الدعوة إلى الزواج المدنى تستهدف سلخ المجتمع عن هويته الإسلامية..

من وجهة نظر الأزهر الزواج المدنى ليس مجرد إجراء إداري، بل خطر على الأسرة المسلمة وفتح لباب الفوضى الأخلاقية..

الكنيسة: لا قيمة له أمام الله

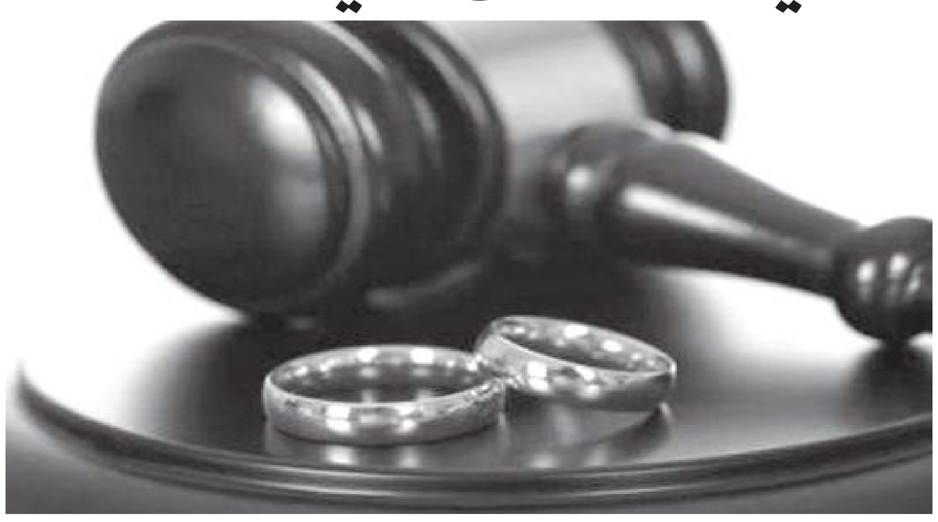
الكنيسة الأرثوذكسية من جانبها تتبنى موقفا أكثر صرامة.. فالزواج المسيحى سر مقدس لا يتم إلا فى الكنيسة وبين طرفين من نفس المعتقد ومن ثم، ترفض الكنيسة الاعتراف بأى زواج مدنى يتم خارجها، وتعتبره باطلا دينيا..

أحد الكهنة أوضح الأمر بقوله: الزواج المدنى ليس زواجا مسيحيا، بل عقد قانونى لا قيمة له أمام الله..

وفى حالات كثيرة من يحاول الالتفاف على هذا الوضع بعقد مدنى فى الخارج يجد نفسه مرفوضا داخل كنيسته بل وأحيانا يحرم من الأسرار الكنسية..

بين الدين والقانون

المعضلة الأكبر أن الدولة المصرية لم تضع إطارا قانونيا يتيح الزواج المدنى كخيار بديل.. قوانين الأحوال الشخصية الحالية تنظم الزواج والطلاق والميراث على أساس ديني: المسلمون يحتكمون للشريعة.. والمسيحيون للوائح كنسية



الأزهر يعتبره تهديدا لهوية المجتمع وفتح لباب الفوضى الأخلاقية

الكنيسة الأرثوذكسية: الزواج المدني عقد قانوني لا قيمة له أمام الله

مثل لائحة ١٩٣٨ .. لكن هذه القوانين لا تتسع للحالات المختلطة أو لمن يرفض الزواج الدينى أصلا..

المحامى الحقوقى أحمد صبرى يوضح: المجتمع متنوع.. فيه مسلمين ومسيحيين وبهائيين ولا دينيين.. لماذا يجبر الجميع على الزواج وفق رؤية دينية واحدة؟ الدولة من واجبها أن توفر خيارا مدنيا يضمن الحقوق.. ويترك للناس حرية الاختيار..

فى ديسمبر ٢٠٢١ أصدرت إمارة أبوظبى القانون رقم ١٤ لعام ٢٠٢١ لتشريع الزواج المدنى للأجانب وغير المسلمين وأنشأت محكمة الأسرة المدنية الأولى من نوعها فى المنطقة.. القانون دخل حيز التنفيذ فى يناير ٢٠٢٢ ثم توسع نطاقه ليشمل الإمارات كافة..

وبحسب الإحصاءات الرسمية جرى تسجيل أكثر من ٣٦ ألف عقد زواج مدنى حتى نهاية ٢٠٢٤ منها ٨ آلاف عقد فى النصف الأول من ذلك العام وحده، هذه الأرقام تعكس إقبالا واسعا.. خصوصا بين المقيمين الأجانب..

تجربة أبوظبى أثبتت أن الزواج المدنى يمكن أن يعمل جنبا إلى جنب مع الزواج الدينى دون أن يلغيه أو يحل محله، لكنه يوفر ببساطة خيارا قانونيا يحترم التعددية ويمنح الحقوق..

حرية شخصية أم تهديد للهوية؟

خصوم الزواج المدنى فى مصر يرون أن المسألة ليست مجرد حرية شخصية، بل قضية تمس هوية المجتمع الدينية.. بعض علماء الدين يؤكدون أن الاعتراف به هو إقرار ضمنى بالعلمنة وفتح لباب التفكك الأسري..

لكن فى المقابل يرى الحقوقيون أن ربط الزواج بالمؤسسات الدينية وحدها يعنى حرمان مواطنين من أبسط حقوقهم، الدولة المدنية الحديثة، كما يقولون، لا تفرض على الناس عقيدة معينة، بل تحمى حقوقهم بصرف النظر عن دينهم..

أطفال بلا هوية.. نساء بلا حقوق

الفراغ القانونى الناتج عن غياب الزواج المدنى لا يظل حبا معلقا فقط، بل يمتد ليخلق أزمات أشد قسوة.. بعض الأطفال يولدون بلا نسب ثابت لأن زواج ابائهم لم يعترف به، نساء يجدن أنفسهن بلا حق فى النفقة أو الميراث لأن عقود زواجهن غير موثقة رسميا..

المحامية نجلاء سلامة المتخصصة فى قضايا الأحوال الشخصية، تروى أنها استقبلت عشرات الحالات من نساء عشن سنوات فى زواج عرفى غير موثق، لأن القانون لم يفتح أمامهن بابا مدنيا، وعندما انهارت العلاقة وجدن أنفسهن بلا سند قانوني.. النتيجة كانت مأساوية، لا حقوق مالية ولا نسب واضح للأبناء ولا حتى إمكانية رفع قضايا أمام المحاكم بسهولة..

تجارب مقارنة

فى لبنان رغم أن الزواج الدينى هو السائد فإن أى زواج مدنى يتم فى الخارج يعترف به قانونياً عند العودة.. هذا الحل الجزئى وإن لم يوفر خيارا محليا.. لكنه على الأقل يفتح نافذة قانونية.. كثير من المصريين يلجؤون إلى قبرص واليونان لعقد زواج مدنى وتسجيله لاحقا فى مصر، لكنهم يواجهون أحيانا صعوبات فى اعتراف الكنيسة أو الأزهر به..

- هل يمكن أن يتكرر نموذج أبوظبى فى مصر؟

سؤال يفرض نفسه: هل يمكن لمصر أن تسلك طريقا مشابها؟ أستاذ القانون الدستورى الدكتور حسام بدوى يرى أن الأمر ممكن لو تم التعامل معه بشكل اختيارى لا إجباري.. يقول: الدولة ليست مطالبة بإلغاء الزواج الدينى أو تهميشه.. الفكرة أن يكون هناك مسار مدنى مواز متاح لمن يريده.. هذا يحترم مبدأ المواطنة المتساوية دون المساس بالتقاليد الدينية لمن يتمسكون بها...

ويضيف: القانون المدنى فى الزواج لن يغير عقائد الناس، لكنه سينقذ حياة آلاف البشر من التعليق فى المجهول، وسيضمن حقوق النساء والأطفال..

بين رفض الأزهر والكنيسة وصمت الدولة، يعيش آلاف المصريين مأزقا حقيقياً.. الزواج المدنى فى مصر ليس رفاهية فكرية.. بل قضية حياة تمس حقوق الإنسان والحرية الفردية واستقرار الأسرة..

تجربة أبوظبى أثبتت أن تطبيق الزواج المدنى فى بيئة عربية ومسلمة ممكن وفعال دون أن يلغى الزواج الدينى أو يهدد المجتمع.. لكن فى مصر سيبقى السؤال مفتوحا: هل من حق الفرد أن يختار شكل زواجه، أم يظل هذا الحق مرهونا برضا المؤسسات الدينية وحدها؟

معركة مفتوحة بين خطاب ديني وجيل يرفض الوصاية

الجسد بين الخطيئة والحرية



منذ عقود طويلة، تعامل الخطاب الديني في العالم العربي مع الجسد وكأنه مساحة للحرام فقط، سواء كان جسد المرأة او الرجل.. النصوص الدينية في تفسيرها التقليدي ركزت على الخطيئة و العفة والوصايا الأخلاقية التي تحدد كيف يجب أن يدار الجسد وما الذي يباح أو يحرم منه.. هذه الرؤية جعلت الجسد وبالذات جسد المرأة حقلا للسيطرة الاجتماعية والدينية..

لكن مع جيل جديد نشأ في عصر الإنترنت صار السؤال أكثر جرأة: هل الجسد ملك لي أم ملك للمجتمع؟ هل يحق لمؤسسة دينية أو دولة أن تملي علي كيف أعيش جسدي وهويتي الجنسية؟!

الدكتورة نوال السعداوي، الطبيبة والكاتبة المصرية الراحلة حذرت منذ السبعينيات من خطورة ربط الجسد بالشرف.. كتبت بوضوح: حينما يختزل شرف المراة في غشاء بكارة يتحول الجسد إلى أداة قمع ووسيلة سيطرة ليس فقط على النساء.. بل على المجتمع كله..

كلمات السعداوي تظل حتى الان حجر أساس في النقاش حول الجسد والحرية.. بالنسبة لها.. المعركة على الجسد لم تكن معركة نسوية فقط بل معركة سياسية واجتماعية أيضا..

وفي كتابها الحجاب وغشاء البكارة صرحت الكاتبة منى الطحاوي قائلة: جسدي ليس ساحة معركة بين شرف القبيلة وخطاب المؤسسة الدينية.. الطحاوي تؤكد أن الجسد حق فردي كامل وأن محاولة المجتمع لتحديد سلوك النساء والرجال الجنسي يكرس أشكال العنف والازدواجية..

واضافت حين يقرر رجل دين أو مشرع أن يفرض وصايته على جسدي فهو في الحقيقة يلغي إنسانيتي..

بين التحريم والخوف من الحرية

الأزهر والكنيسة القبطية الأرثوذكسية يتفقان رغم خلافاتهما العقائدية على نقطة واحدة: الجسد يجب أن يحكم بالضوابط.. في مواقف متكررة يربط كلاهما بين الحرية الجنسية وبين الانحلال أو تفكك الأسرة..

الأزهر أصدر أكثر من بيان يؤكد أن المساكنة والزواج المدني خارجان عن الشرع..والكنيسة تعتبر أي علاقة خارج الزواج خطية كبرى تهدد قدسية الأسرة المسيحية..

وقالت المحامية عزة سليمان أن هذا الخطاب يتجاهل الواقع: الكبت الجنسي والرقابة على أجساد النساء لم ينتج مجتمعا عفيفا بل خلق أشكالا متعددة من العنف والازدواجية.. الحرية الجسدية ليست رفاهية.. بل حق إنساني..

جيل جديد يصرخ: أجسادنا ملكنا

داخل تقارير صحفية عربية وأجنبية ظهرت شهادات جريئة لشباب وشابات قرروا الخروج عن النص...

شابة مصرية قالت: لما قررت أعيش علاقة من غير جواز الناس شافوني منحرفة لكن أنا شفت نفسي لأول مرة إنسانة حرة..

و شاب لبناني روى : المجتمع يملك جسدك قبل ما تولد بيقررلك إزاي تعيش وتحب وأنا رفضت ده وقررت إن حياتي ليا مش لهم..

هذه الأصوات تظهر أن هناك شريحة من الجيل الجديد لم تعد تخاف من طرح الأسئلة الكبرى حول الحرية الجسدية والهوية الجنسية..

الباحثة في علم الاجتماع بجامعة كامبريدج مها عبد الرحمن ترى أن الهجوم المستمر على أي نقاش عن الحرية الجسدية ليس مجرد خوف أخلاقي لكنه خوف سياسي.. وعلقت: المجتمع الأبوي يخاف من تحرر الجسد لأنه يعني فقدان السيطرة.. تحرر المرأة من الوصاية يعني بداية انهيار نظام كامل من الامتيازات...

إعلام الجديد يكسر التابوهات

على منصات مثل إنستجرام وتيك توك صارت النقاشات حول الجسد والهوية الجنسية أكثر علنية.. فتيات يتحدثن عن تجاربهن مع فرض الحجاب أو خلعه، شباب يعلنون ميولهم الجنسية علنا و صفحات كاملة تناقش موضوعات مثل الجنس الآمن أو الحرية الجسدية من منظور علمي..

الإعلام الديني التقليدي يرد بالتحريم.. بينما الإعلام الجديد يفتح أبواب الأسئلة بلا خوف..

الصحفية أمينة خيري قالت أن الجيل الجديد لا يستأذن.. وحين يقرر يعيش جسده بطريقته.. وعلقت: الفتيات والشباب النهارده عندهم مساحة أكبر للنقاش مش بيسكتوا زي الأجيال اللي قبلهم.. ده بيخلق صدام مفتوح مع خطاب ديني ما زال يعيش في الماضي.. بين خطاب الوصاية وواقع مختلف..

الأزهر والكنيسة ما زالا متمسكين بمفهوم الجسد الطاهر ، بينما الواقع الاجتماعي يثبت إن ملايين من الشباب يعيشون حياتهم خارج الإطار التي تريد المؤسسات فرضه..

السوشيال ميديا خلقت علانية جديدة و فضحت الازدواجية: رجال دين يلقون خطبا عن العفة بينما تكشف فضائح جنسية تخص بعضهم.. شباب يعيشون حياة مزدوجة بين الطاعة العلنية والحرية السرية..

شهادات من الواقع

فتاة جامعية تدعي سارة (اسم مستعار) علقت : أول مرة اتكلمت مع أمي عن جسمي والدورة الشهرية. قالتلي عيب، طول الوقت حاسة إن جسمي ملك الناس مش ملكي..

شاب مصري (٢٧ سنة) في حوار مع مجلة أجنبية: أنا مثلي الجنس عشت سنين في خوف لكن لما قبلت نفسي حسيت إني ولدت من جديد، الدين شايفني خطيئة بس أنا شايف نفسي إنسان..

الصراع حول الجسد ليس مسألة أخلاقية فقط، لكنه صراع بين مستقبل حرية الفرد وماضي السيطرة الدينية..

الجيل الجديد يتكلم علنا عن حرية الجسد وعن الهوية الجنسية وعن المساكنة والزواج المدني، لكن المؤسسات ما زالت ترفع راية "الحرام والخطية" ..

يبقى السؤال: من يملك الجسد؟ الفرد أم المؤسسة؟

الإجابة ليست محسومة لكن المؤكد أن الجيل الجديد كسر حاجز الصمت.. أجسادهم لم تعد أراضي مقدسة للمؤسسة، بل صارت ساحات معركة يصرخون فيها: أجسادنا ملكنا، وحريتنا ليست خطيئة...

مادونا شوقي

المشهد

العدد 342 - السنة الرابعة عشر ـ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

المسلم المتحول متهم والمسيحى المتخلى مطارد.. والمجتمع سيف على الرقاب

حرية تغيير العقيدة فى مصر







سعيد فايز: حرية الاعتقاد "فى الصدور فقط".. والتحول عن الإسلام "مرفوض قضائيا" والمرتد يعامل كالميت بلا حقوق



أحمد الشيخ: لا إكراه فى الدخول إلى الإسلام.. أما الخروج منه ففساد فى الأرض وخلل فى النظام.. والردة جريمة دينية



روبير الفارس: المصريون يعبدون الدين لا الله.. وحرية العقيدة مستحيلة فى بلد يعتبر الإيمان شرفًا لا اختيارًا

رغم أن الدستور المصرى ينص صراحة على أن حرية العقيدة مكفولة فى (المادة ٦٤).. الا أن الواقع يضع خطوطا حمراء غير معلنة، تجعل من حرية اختيار الدين أو تغييره مجرد شعار فارغ، الدستور يقول كلمة بينما الممارسات اليومية سواء من الدولة أو من المجتمع تقول كلمة أخرى تماما..

التحول من الإسلام إلى المسيحية يواجه دائما حصارا أمنيا ومراقبة لصيقة وتهديدات بالحبس والمحاكمة بتهمة ازدراء الأديان أو اثارة الفتنة الطائفية.. بينما التحول من المسيحية إلى الاسلام يجرى بسهولة على الورق لكن أصحابه لا يسلمون من نظرات الريبة من الكنيسة أو الملاحقة المجتمعية.. و فى الحالتين يصبح الفرد المتحول متهما أو مطاردا وكأن الخروج عن الدين الذى ولد عليه هو خطيئة لا تغتفر..

تناقض بين النصوص القانونية والممارسة الواقعية

القانون المصرى لا يعترف صراحة بحرية تغيير الدين بل يكتفى بصياغات فضفاضة عن حرية الاعتقاد، الأحكام القضائية غالبا ما تفرق بين حرية الاعتقاد الداخلي، وحرية ممارسة الشعائر ، ما يفتح الباب لتقييد أى ممارسة علنية للخروج من الدين..

القضاء الإدارى على سبيل المثال أصدر أحكاما متناقضة فى هذا الملف.. ففى ٢٠٠٧ أصدرت المحكمة الإدارية العليا حكما فى قضية الـ ١٢ قبطيا الذين أعلنوا تحولهم من الإسلام إلى المسيحية ورفضت المحكمة الاعتراف بتغيير ديانتهم فى الأوراق الرسمية معتبرة أن العودة من الإسلام لاى دين اخر غير مسموح بها وفق النظام العام ، فى المقابل أى مواطن مسيحى يريد تسجيل دخوله فى الاسلام يحصل على أوراقه بسهولة وأحيانا فى يوم واحد لكن مشكلته تبدأ من بيته ومجتمعه..

المسيحيون المتحولون للإسلام.. الوجه الاخر للمأساة

رغم ما يشاع عن أن الباب مفتوح لمن يريد الدخول فى الإسلام إلا ان الواقع يكشف عن مأساة أخرى، الكنيسة تعتبر الأمر خيانة وجودية.. والأسر تعامل أبناءها كأنهم ماتوا.. كثير من القصص تسربت للإعلام خلال العقدين الماضيين.. فتيات اختفين فجأة قيل إنهن أسلمن.. فتحولت قصصهن إلى جدل طائفى واسع بين الكنيسة والأجهزة الأمنية.. فى بعض الحالات تدخل الأمن ليحمى الفتيات من أسرهن أو ليعيدهن إلى ذويهن خشية انفجار طائفي.. لكن النتيجة النهائية واحدة، الشخص الذى يختار أن يغير دينه يعيش فى عزلة اجتماعية كاملة.. مهددا بالرفض من عائلته ومراقبا من الدولة.

فى الاتجاه المعاكس المسلم المتحول إلى المسيحية يعيش فى منطقة رمادية، الدولة لا تعترف به والكنيسة لا تستطيع حمايته علنا والمجتمع يراه خائنا لدينه وهويته.. التهم الجاهزة تبدأ من ازدراء الدين ولا تنتهى عند الاضرار بالوحدة الوطنية..

أشهر مثال هو قضية محمد حجازى فى ٢٠٠٧ أول مسلم يرفع دعوى قضائية لتغيير ديانته إلى المسيحية فى البطاقة، القضية تحولت إلى عاصفة إعلامية اتهم فيها بازدراء الإسلام وظل مطاردا لسنوات ثم اختفى من المشهد.. قصته كشفت كيف أن التحول من الإسلام إلى أى دين آخر مسألة محرمة قانونيا وأمنيا واجتماعيا..

تصريحات متناقضة

شيخ الأزهر الأسبق محمد سيد طنطاوى قال فى التسعينيات إن الحرية الدينية تشمل حق المسلم فى تغيير دينه.. لكنه واجه رفضا واسعا من علماء اخرين اعتبروا الردة جريمة شرعية...

وعلى الجانب المسيحى قيادات كنسية أكدت مرارا أن الكنيسة لا تعترف بخروج أبنائها.. وأن من يترك المسيحية يقطع نفسه عن جسد المسيح.. وهو تعبير لاهوتى لكنه يتحول إلى حكم اجتماعى قاس...

الدولة فى بياناتها الرسمية تكرر الحديث عن حرية العقيدة والوحدة الوطنية لكنها فى الممارسة تضع الملف بالكامل فى يد الأجهزة الأمنية باعتباره تهديدا للاستقرار..

ما يحدث فى مصر هو تطبيق عملى لازدواجية صارخة.. المسيحى الذى يتحول للإسلام.. الدولة تعترف والكنيسة تحاصر والمجتمع يطرد..

اما المسلم الذى يتحول للمسيحية.. الدولة ترفض الاعتراف والأمن يراقب والمجتمع يهدد..

فى كلتا الحالتين، النتيجة واحدة.. لا حرية حقيقية للعقيدة بل فقط مساحة ضيقة مشروطة بالولادة والانتماء الطائفي...

تقرير لجنة الحريات الدينية الأمريكية (USCIRF) يضع مصر باستمرار فى قائمة الدول التى تفرض قيودا صارمة على حرية العقيدة.. مشيرا إلى أن التحول الدينى فى مصر محفوف بالمخاطر القانونية والاجتماعية.. كما سبق للاتحاد الأوروبى أن أثار القضية فى حوارات حقوق الإنسان مع القاهرة.. لكن الدولة اعتبرتها شؤونا داخلية..

خطاب الدولة الرسمى دائما ما يتحدث عن الوحدة الوطنية والعيش المشترك وحرية العقيدة، لكن الواقع الميدانى يفضح هشاشة هذه الشعارات.. فاى محاولة لتغيير الدين تتحول الى قضية أمن دولة.. بينما يبقى الدستور شاهدا صامتا على التناقض بين النصوص والتطبيق..

يقول روبير الفارس، الباحث فى التاريخ القبطي، إن الحديث عن حرية العقيدة فى مصر يظل معلقا بين النصوص الدستورية والواقع الاجتماعي، فبينما ينص الدستور فى مادته (٦٤) على أن حرية العقيدة مكفولة مطلقًا، تبقى هذه الحرية شبه مستحيلة فى الممارسة، ويشرح الفارس ذلك بقوله إن الدين فى مصر ليس مجرد عقيدة، بل مكون أساسى من تكوين الشخصية المصرية منذ فجر الحضارة، فالمصرى القديم عاش فى ظل ديانة كانت جزءًا من تفاصيل يومه، وامتد هذا الإرث حتى اليوم.. لذلك، فالفكر القبلى والدينى السائد، سواء عند المسلمين أو المسيحيين، لا يقبل فكرة تغيير العقيدة ، ويعتبرها عارا يصيب العائلة كلها، قبل أن تكون خيارا شخصيا أو روحيا..

وأضاف أن المشكلة لا تتعلق بالنص القانونى فقط، بل بتناقضه الداخلي، إذ تنص المادة الثانية من الدستور على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع، وهو ما يتعارض عمليًا مع حرية العقيدة التى تضمنها المادة ٦٤. "كيف يمكن لدولة أن تقول إنها تضمن حرية الدين بينما تحدد فى دستورها دينًا رسميًا؟" يتساءل الفارس، معتبرًا أن القانون هنا يخضع لنفوذ العرف الاجتماعى والديني، وأن المجتمع أقوى من القانون نفسه، لأن الدين هو العمود الفقرى للحياة فى مصر، ولا تزال الدولة أقرب إلى نموذج "الدولة الدينية" منها إلى الدولة المدنية.

وأشار إلى أن غياب الزواج المدنى واحد من أهم الأسباب التى تدفع البعض إلى تغيير ديانتهم، سواء بدافع الزواج أو الانفصال، موضحا أن الزواج الدينى فى مصر أصبح "إطارا مغلقا" لا مفر منه إلا بتغيير الدين أو الموت. "الزواج المدنى مش رفاهية، ده حق إنسانى أساسي"، يقول الفارس، موضحًا أن وجود زواج مدنى لا يعنى إلغاء الزواج الديني، بل يمنح الناس حرية الاختيار..

وأضاف أن احتكار الكنيسة والأزهر لحق توثيق الزواج أعطى سلطة ضخمة للمؤسسات الدينية على حياة الأفراد، "فحين يغضب الكاهن من شخص ما، قد يحرمه من الصلاة عليه أو يرفض تزويجه، بينما من ناحية أخرى يسمح لآخرين بتجاوز القوانين الكنسية ببساطة، وهو ما يخلق إحساسا عميقا بالتمييز"...

ويرى الفارس أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تتحمل جزءًا من المسؤولية، مشيرا إلى أن الانشغال بالطقوس والشكل الخارجى للإيمان جاء على حساب التعليم اللاهوتى العميق، مما أضعف الصلة بين الإيمان والممارسة، وخلق فراغا روحيا سهل على البعض اتخاذ قرار التحول الديني. وقال إن عددا من الفتيات اللاتى تركن المسيحية كن ينتمين إلى أسر كهنوتية، "وهذا فى حد ذاته يعكس أزمة داخلية فى الخطاب الدينى الكنسي".

ويؤكد أن الموضوع اجتماعى أكثر من كونه عقائديا، لأن المجتمع المصرى لا يرى فى تغيير الدين فعلًا روحانيا بل "خيانة للشرف"، إذ تعامل الفتاة التى تغير ديانتها كمن "فقدت شرفها"، ويلحق العار بأسرتها كلها.. هناك أسر تمنع بناتها من الزواج بسبب "فضيحة" كهذه، وتتعرض للعزلة والنفى الاجتماعي، فى عملية عقاب جماعى قاسية..

ويضيف الفارس أن "حرية الإنسان مكفولة فى الأصل المسيحى ذاته، فالانجيل قال: تعرفون الحق والحق يحرركم، وبولس الرسول تحدث عن حرية مجد أولاد الله.. لكن الواقع الاجتماعى يفرض قيودًا قهرية تجعل الانفصال عن الأسرة أو المجتمع شبه مستحيل".

وعن الضغوط التى يتعرض لها من يغير دينه، أوضح أن أغلبها لا تأتى من الدولة بل من العائلة والمجتمع.. "المتحول دينيا يعيش عزلة قاسية، منبوذ من أهله ومجتمعه، فيضطر لبناء حياة جديدة من الصفر.. لكن المؤلم أن المسيحيين أحيانا يعاقبون بعضهم بعضا أكثر مما يفعل المجتمع الخارجي". وأشار إلى أن الفئة التى تتقبل حرية العقيدة غالبا ما تكون من المثقفين والفنانين وطبقة اجتماعية عليا "منفصلة عن قاع المجتمع المحافظ"، بينما القاع الشعبى يربط الدين بالشرف والهوية، فلا يتسامح مع الخروج عنه...

واختتم روبير الفارس حديثه مؤكدًا أن مستقبل حرية العقيدة فى مصر مرهون بتغير الوعي، لا بالنصوص.. "لن تتغير القوانين إلا إذا تغيرت العقول.. المصريون ما زالوا يأكلون ويشربون دينا، والدين متغلغل حتى فى أكثر الفئات فسادا. المجتمع كله يعتقد أنه يملك الحقيقة وحده، وكل طائفة ترى الأخرى ضالة. لذلك، قبل أن نكتب قوانين جديدة، نحن بحاجة إلى تعليم مدني، ووعى يعيد تعريف معنى الحرية"..

وفى السياق الديني، علق الشيخ أحمد الشيخ، خطيب بوزارة الأوقاف بالإسكندرية، على مسألة حرية تغيير الدين من منظور إسلامي، مؤكدًا أن النص القرآنى واضح فى قوله تعالى: "لا إكراه فى الدين"، موضحًا أن هذه الآية تتعلق بحرية الدخول فى الإسلام، لكنها لا تشمل حرية الخروج منه، إذ يقول: «لا إكراه فى دخول الإسلام، أما من دخل فقد تبين له الرشد من الغي، وليس له أن يخرج بعد أن عرف الحق».

وأضاف الشيخ أحمد الشيخ أن مسألة الردة محسومة بإجماع العلماء، مستندًا إلى الحديث النبوى الشريف: "من بدل دينه فاقتلوه". وأوضح أن تطبيق هذا الحكم ليس لأفراد الناس، وإنما للحاكم وحده، منعًا للفوضى، مشيرًا إلى أن الردة فى الإسلام تُعد خروجًا عن الدين، وبالتالى فهى جريمة دينية ذات أبعاد سياسية واجتماعية أيضًا.

وأكد الشيخ أن "حرية الاعتقاد" فى الإسلام معناها أن للإنسان حرية الاختيار قبل الدخول فى الدين، لقوله تعالى: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر". لكن ما يُسمى بـ"حرية تغيير الدين" لا وجود له فى المنظور الشرعي، قائلا: «هل يُعقل أن ينتقل الإنسان من الرشد إلى الضلال؟ ومن الجنة إلى النار؟».

وأوضح الشيخ أحمد الشيخ أن ما يُثار عن عدم وجود عقوبة دنيوية للمرتد يخالف إجماع الفقهاء القدامى والمعاصرين، إذ لم يقل أحد من العلماء المعتبرين بذلك. وأضاف أن الردة ليست مجرد قضية دينية، بل لها أيضًا أبعاد سياسية وأخلاقية واجتماعية، لما قد تسببه من اضطراب داخل المجتمع المسلم.

وأشار إلى أن الأزهر الشريف يتبنى موقفًا وسطيًا فى هذه القضية، موضحًا أن الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب أكد فى أكثر من مناسبة أن الردة المعاصرة تأخذ شكل "جريمة الخيانة العظمى" ضد المجتمع، وأن التعامل معها يكون من خلال العقوبات التعزيرية التى يحددها الحاكم بحسب خطورة الحالة. ولفت إلى أن الفقهاء القدامى اتفقوا على أن المرتد يُستتاب أولًا بالحوار والإقناع قبل توقيع أى عقوبة، وأن القتل لا يُطبّق إلا فى حالة الجهر بالردة والدعوة إليها، أى عندما تتحول إلى خروج على الجماعة وتهديد للنظام العام.

واستشهد الشيخ أحمد الشيخ برأى الإمام الأكبر فى برنامجه "الإمام الطيب"، حيث قال إن الردة إذا كانت مجاهرة وعداءً للمجتمع الإسلامى فهى خيانة كبرى، لكن إن كانت مجرد تراجع شخصى عن الإيمان فهى شأن بين الإنسان وربه، يُعالج بالنصح والإرشاد وليس بالقتل الفوري، مستدلًا بقول النبى حين رأى امرأة مقتولة فقال: "ما كانت هذه لتقاتل".

وختم الشيخ أحمد الشيخ حديثه بالتأكيد على أن الإسلام لا يُكره أحدًا على الدخول فيه، لكنه أيضًا لا يقر الخروج منه بعد الإيمان به، مشيرًا إلى أن الردة — فى نظر الشريعة — ليست حرية شخصية بل عدوان على العقيدة والمجتمع معًا.

وفى سياق متصل، علق المحامى سعيد فايز، باحث دكتوراه فى القانون ومحام بالنقض، على الإشكالية القانونيّة لحرية تغيير الدين فى مصر، مؤكدا أن الدستور المصرى يكفل حرية العقيدة فى المادة (٦٤) من دستور ٢٠١٤ بشكل مطلق، لكن التطبيق العملى يختلف تماما.. وأوضح أن الفقهاء والقضاء يميزون بين حرية الاعتقاد وهى حق مطلق يتعلق بما يختاره الإنسان فى داخله وبين حرية ممارسة الشعائر، وهى النشاط الخارجى المعلن، حيث تقع الإشكالية عند إعلان شخص تحوله من الإسلام إلى ديانة أخرى، وهو ما يرفض عادة بدعوى "حماية النظام العام"، استنادا إلى المادة الثانية من الدستور التى تنص على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع..

وأشار فايز إلى أن حرية الاعتقاد تعنى ببساطة "اختيار الإنسان ما يشاء فى ضميره"، لكن عند الانتقال إلى الممارسة العلنية يظهر التقييد.. ولفت إلى أن القوانين المصرية لا تتضمن نصا يجرم تغيير الدين من الإسلام إلى غيره، وإنما جاء التضييق من خلال أحكام قضائية واجتهادات فقهية.. واستشهد بقضيتين بارزتين: محمد حجازى وماهر الجوهرى (٢٠٠٨–٢٠١٠)، حيث رفض القضاء الاعتراف بتحولهما للمسيحية، مبررا ذلك بأن "لا توجد جهة قانونية تستطيع أن تصدر ما يفيد بخروج شخص عن الإسلام".. وأضاف أن أحد القضاة ذهب إلى حد القول إن "الأديان رتبت درجات: اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام، ومن غير المتصور أن يترك الإنسان الدين الأعلى إلى الأدنى"، وهو ما اعتبره فايز منطقا خطيرًا يتجاهل جوهر الحريات.

وأكد المحامى أن المحاكم المصرية ترفض تسجيل تغيير الديانة من الإسلام إلى المسيحية لغياب تشريع منظم، بينما تقبل بسهولة التحول من المسيحية إلى الإسلام لأنه منصوص عليه إجرائيا. وبين أن القضاء الإدارى باعتباره قضاء "منشئا" استند فى أحكامه إلى القاعدة العامة المستمدة من الشريعة الإسلامية التى لا تجيز الخروج من الإسلام.

وحول ما إذا كان هناك نص قانونى صريح يمنع المسلم من تغيير دينه، أوضح فايز أن المسألة "اجتهاد قضائي" وليست قانونا مكتوبا، لكنه أشار إلى وجود تنظيمات قانونية مرتبطة بالديانة، مثل زواج الأجانب، حيث يرفض الموثقون توثيق زواج رجل غير مسلم بامرأة مسلمة إلا إذا أعلن الطرف غير المسلم إسلامه رسميا.

وتحدث أيضا عن دور الأجهزة الأمنية فى قضايا التحول الديني، موضحا أن الأمن طرف أساسى لسببين: أولا لحماية النظام العام خشية اندلاع مواجهات أو عنف طائفي، وثانيا لأن القضاء الإدارى استدعى رأى الأجهزة الأمنية والأزهر فى آلاف القضايا التى عرفت بقضايا "العائدين للمسيحية" قبل ٢٠١١. وقال إن هذا الإدخال المباشر للأمن فى المشهد القانونى جعل من مسألة حرية تغيير الدين قضية أمن دولة بالأساس.

أما عن إمكانية اللجوء إلى المحكمة الدستورية العليا، فأوضح فايز أن ذلك صعب لأن القضايا الدستورية تتعلق بالطعن فى قوانين قائمة، بينما فى حالة التحول الدينى لا يوجد قانون صريح يحظر الأمر، بل اجتهادات قضائية متراكمة.. ولفت إلى أن كل الدعاوى التى رفعها متحولون إلى المسيحية، مثل محمد حجازى وماهر الجوهري، انتهت بالرفض.

كما أشار إلى أن هناك أحكاما قضائية جزئية اعترفت نسبيا بحرية العقيدة، مثل حكم المحكمة الإدارية العليا فى يناير ٢٠١١ الذى أجاز للمسيحيين "العائدين" العودة إلى المسيحية بعد اعتناقهم الإسلام، معتبرًا ذلك حقا من حقوق حرية العقيدة. لكنه أوضح أن هذا الحق ظل محدودًا بالمسيحيين فقط، دون أن يشمل المسلمين الذين يتركون الإسلام..

وعن تأثير قضايا التحول الدينى على الأطفال، استشهد فايز بقضية ماريو وأندرو (٢٠٠٨–٢٠٠٩)، حيث خاضت والدتهما معركة قضائية لرفض تغيير بياناتهما الدينية بعد إسلام والدهما. وأوضح أن القانون المصرى يميل إلى جعل الأبناء يتبعون "أفضل الأبوين"، وغالبا ما يعتبر الإسلام هو "الأفضل"، ما يؤدى إلى تحويل بيانات الأطفال للإسلام قسرا. أما فى حالة إعلان أحد الأبوين تحوله من الإسلام إلى المسيحية، فلا يتم الاعتراف به مطلقا، بل قد يعامل قضائيا كالمعدوم، فيحرم من حقوقه فى الميراث أو الحضانة..

وختم المحامى سعيد فايز بقوله: "يمكن القول إن حرية العقيدة فى مصر تسير فى اتجاه واحد فقط: من المسيحية إلى الإسلام. أما العكس، أى خروج المسلم إلى أى ديانة أخرى، فلا وجود له قانونيا ولا عمليا.. وبالتالي، فإن حرية العقيدة فى مصر تظل شعارا دستوريا لا يجد طريقه للتنفيذ على أرض الواقع"..

و يبقى السؤال: إذا كانت حرية العقيدة حقا مكفولة كما يقول الدستور.. فلماذا يدفع المتحولون سواء من المسيحية أو من الإسلام ، أثمانا اجتماعية وقانونية وأمنية فادحة ولماذا لا يكون تغيير الدين قرارا شخصيا لا شأن للدولة أو المؤسسات الدينية أو المجتمع به؟!

تحقيق: مادونا شوقي

المشهد

العدد 342 - السنة الرابعة عشر ـ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ



ترامب تساءل لماذا لاتنضمون لنا فى كوريا الشمالية

تساءل الرئيس الأمريكي: «لماذا نحمى دولًا لا ترغب فى دفع ثمن أمنها؟» هذا ليس عادلا

الأمين العام السابق لحلف شمال الأطلنطي يروي رحلة التقلبات الحادة التي خاضها مع الرئيس الأمريكي:

هكذا أوصل ترامب حلف الـ «ناتو» إلى حافة الانهيار

هناك أى دولة أخرى تعنى لحلف الناتو أكثر من الولايات المتحدة. فهى تتمتع بمكانة فريدة بين الدول الأعضاء بفضل ثقلها السياسى والاقتصادى والعسكري. ولذلك، تُعدّ القوى المهيمنة على السياسة الأمريكية – ومن فى البيت الأبيض – عوامل حاسمة. لذا، لم تكن الانتخابات الرئاسية فى نوفمبر ٢٠١٦ مهمة للولايات المتحدة فحسب، بل لجميع دول حلف الناتو أيضًا.

خلال الأشهر الستة الأولى من عام ٢٠١٦، كانت هيلارى كلينتون متقدمة فى جميع استطلاعات الرأى . وبحلول الخريف، كان خبراء الانتخابات يتوقعون فوزها. أنا أيضًا كان لديّ شعورٌ داخليٌّ بأن هذه ستكون النتيجة. فى ليلة الانتخابات، رتّبتُ أنا وزوجتى إنغريد حفلةً مع الأصدقاء والزملاء فى مقر إقامتنا فى بروكسل. جهّزنا جهاز تلفزيون كبير فى غرفة المعيشة، وقدّم الهامبرغر. كان يومًا طويلًا ينتظرني، لذا خلدتُ إلى النوم قبل منتصف الليل.

استيقظتُ الساعة الخامسة وتفقدتُ هاتفي. فاز دونالد ترامب فى بنسلفانيا وأوهايو . لم يكن الأمر مؤكدًا تمامًا، لكن شبكة سى إن إن أفادت بفوزه. عندما نزلتُ لتناول فطورنا الانتخابى الساعة السادسة، كان الآخرون متفاجئين تمامًا مثلي.

كنتُ قلقًا بشأن ما سيحدث لاحقًا، لأننى لاحظتُ مدى انتقاد ترامب لحلف الناتو خلال حملته الانتخابية. فى مقابلة تلفزيونية أواخر مارس، قال: «حلف الناتو عفا عليه الزمن» – وهى وجهة نظر قوضت السياسة الخارجية الأمريكية على مدى السبعين عامًا الماضية. واجه ترامب انتقادات من عدد من كبار الشخصيات الجمهورية، لكن يبدو أن هذه الانتقادات لم يعرها اهتمامًا. فى الوقت نفسه تقريبًا، سُئل عمن سيستشيره عندما يحتاج إلى نصيحة فى السياسة الخارجية. أجاب: «أتحدث مع نفسي، أولًا، لأن لديّ عقلًا ثاقبًا».

لقد انتخب الشعب الأمريكى ترامب، وكان علينا احترام ذلك. أردتُ أن يُنشيء الناتو علاقة عمل جيدة معه فى أسرع وقت ممكن، من أجل دفعه وإدارته إلى تبنى وجهة نظر أكثر إيجابية تجاه التحالف. داخل الناتو، سيكون الإنضباط الذاتى ضروريًا. أوضحتُ أن التذمر المُنهك فى الاجتماعات الداخلية أمر غير مقبول. لن يكون هناك استهجان من تغريدات ترامب أو ظهوره العلني؛ ولا ضحك ساخر على مقاطع الفيديو؛ ولا نكات حول لعب الجولف أو تصرفاته. كان عدم التسامح مطلقًا أمرًا بالغ الأهمية. يمكن لمجموعة صغيرة من الأفراد الذين يسخرون أن تنتشر فى جميع أنحاء المنظمة وتتسرب. وإذا وصل إلى واشنطن أن موظفى الناتو يجلسون ويضحكون على دونالد ترامب ، فسيكون ذلك مدمرًا.

ناتو المعجب بالناتو

فى يوم الجمعة ١٨ نوفمبر، تواصلت مع ترامب لأول مرة. قال: «أنا من أشدّ المعجبين بحلف الناتو! سررتُ بالتحدث معك، وأتطلع للعمل معك». خلال حديثنا، شعرتُ بصدمة طفيفة لأننا بدا أننا متفقان فى معظم الأمور الجوهرية. كان ترامب يعتقد أن الدول الأوروبية الأعضاء بحاجة إلى زيادة إنفاقها على الدفاع. قلتُ: «أتفق معك تمامًا فى هذا الشأن». كان تقاسم الأعباء بشكل أكثر عدلًا وزيادة الإنفاق الدفاعى هما ما قضيتُ معظم وقتى أعمل عليه منذ توليتُ منصبي. قال ترامب إن الناتو بحاجة إلى أن يكون أكثر استعدادًا لمحاربة الإرهاب. فأجبته مجددًا: «أتفق معك تمامًا فى هذا الشأن».

أراد أيضًا أن يسمع رأيى فى الأشخاص الذين كان يُرشّحهم لمناصب رئيسية. فوجئتُ، لكننى لم أعارضه. ريكس تيلرسون وزيرًا للخارجية؟ كنتُ أعرفه قليلًا من خلال صناعة النفط ومؤتمرات الطاقة فى التسعينيات. قلتُ: «اختيارٌ موفق».

جيم ماتيس وزيرًا للدفاع؟ الحقيقة أن المعلومات القليلة التى كنت أعرفها عنه جاءت من مسلسل «جيل القتل» على قناة أتش بى أو عن حرب العراق، والذى شاهدته مع ابني: يُصوّر ماتيس كشخصية أسطورية، جنرال يُهاب ويُعجب به، يُعرف باسم «الفوضى». ساد صمتٌ مُحرجٌ بعض الشيء قبل أن يُسلمنى تورجير لارسن، مدير مكتبى الخاص الذى كان يستمع إلى المحادثة، رسالة كتب فيها: « جيم ماتيس رائع. إنه يعرف الناتو»

قلتُ لترامب: «جيم ماتيس عظيم. إنه يعرف الناتو جيدًا».

بعد تلك المحادثة الأولى، شعرتُ أن الأمور بدت أكثر إشراقًا. ومثل كثيرين غيري، اختلفتُ مع آراء ترامب بشأن تغير المناخ، وحقوق الإجهاض، والسياسة التجارية، لكن جوهر ما قاله عن حلف الناتو فى حديثنا كان أمرًا أستطيع استيعابه.

تقييم خاطيء

بعد الانتخابات بفترة وجيزة، دعا باراك أوباما الرئيسَ الجديد إلى البيت الأبيض. كان لقاءً تصالحيًا. شكره ترامب على جهوده؛ بينما قال أوباما كل ما ينبغى على الرئيس المنتهية ولايته قوله.

وهذا أيضًا كان مُشجعًا. فكّرتُ أن الأمور ستهدأ: الآن وقد انتهت الانتخابات، سيتأثر ترامب بدوره الجديد ومسؤولياته. بوجود أشخاص أكفاء حوله، سيصبح ترامب أشبه بمن سبقوه فى البيت الأبيض. كان هذا هو التقييم الخاطئ الثانى الذى قمت به بشأن دونالد ترامب.

فى منتصف أبريل ٢٠١٧، كنتُ فى البيت الأبيض، مُستعدًا للقاء دونالد ترامب لأول مرة. كنتُ قد أعددتُ بعض المجاملات عن فوزه الانتخابى وعن ميلانيا ، السيدة الأولى. فتح باب مكتبه، لكن لم يكن هناك رئيس ينتظر. استرخى ترامب على كرسيه باستخفاف. مبتسما قال «تفضلوا بالدخول يا شباب».

عندما استقبل ترامب رئيس الوزراء اليابانى شينزو آبى قبل بضعة أسابيع، استمرت المصافحة ١٥ ثانية، وكانت قوية لدرجة أن آبى تألم. وتعرض رئيس الوزراء الكندى جاستن ترودو لمعاملة مماثلة. وبعد ذلك بقليل، اختار الرئيس الفرنسى إيمانويل ماكرون أن يمسك بقوة شديدة حتى ابيضت مفاصله. وقد حظى كل هذا بتغطية إعلامية واسعة ، حيث اعتقد بعض المعلقين أن ترامب كان يحاول تأكيد تفوقه من خلال مصافحته، بينما أشار آخرون إلى أنه كان مهتمًا بصورته الذكورية. وقبل زيارتى بفترة وجيزة، التقى بالمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ، ورفض مصافحتها أمام المصورين. وقد كتب الكثير عن ذلك أيضًا.

عندما نهض ترامب، ممدودًا يده، شعرت ببعض القلق. لكن قبضته كانت طبيعية بشكلٍ مخيب للآمال، لا قاسية ولا مرتخية.

لكن عندما بدأ الحديث، اتضح سريعًا أن هذا سيكون فضفاضًا للغاية. انتقلنا من موضوع لآخر. وبينما كنا نتحدث عن روسيا، صرخ ترامب فجأة: «لكن لماذا لا تنضمون إلينا فى الناتو فى الأزمة مع كوريا؟ إنهم يطورون أسلحة نووية، وهذا أمر لا نقبله».

قبل شهرين، أعلن زعيم كوريا الشمالية، كيم جونغ أون ، أن الاستعدادات لاختبار صاروخ نووى عابر للقارات قد وصلت إلى مرحلتها النهائية؛ وأعقب هذا الإعلان إطلاق صواريخ متوسطة المدى سقطت فى بحر اليابان. لذا، لم يكن حديث ترامب عن كوريا الشمالية مفاجئًا تمامًا. لكننى لم أكن متأكدًا مما يعنيه. هل كان يريد تدخل الناتو فى كوريا الشمالية؟.

قلت: «سيدى الرئيس، إن جميع الحلفاء قلقون بشأن الأسلحة النووية، ولكننى لا أعتقد أنه سيكون هناك أى دعم لقصف كوريا الشمالية».

«لكنك فى أفغانستان. لماذا لا يمكنك أن تكون فى كوريا الشمالية؟» أجاب ترامب.

قبل أن ينتقل الحديث سريعًا. تطرقنا إلى الإرهاب وتنظيم الدولة الإسلامية، بالطبع، حيث أعلن ترامب: «علينا قتلهم، علينا قصفهم، إنهم أشرار حقًا».

سرعان ما عاد حديثنا إلى روسيا، وكررتُ النقاط التى كنتُ حريصًا على طرحها منذ توليتُ منصبى فى حلف الناتو. قلتُ: «يجب أن نكون أقوياء وقابلين للتنبؤ، ولكن منفتحين على مواصلة الحوار مع روسيا. روسيا باقية هنا. إنها دولة مجاورة، وليست منظمة إرهابية يجب القضاء عليها، مثل داعش».

ثم، كما فعلت فى أحاديث أخرى عديدة، أشرتُ إلى تجارب النرويج. «كما تعلم، سيدى الرئيس، بصفتى رئيس وزراء النرويج السابق، أعلم أنه من الممكن التحدث مع الروس».

ألقى ترامب نظرة استفهام. «هل أنت نرويجي؟»

فهمتُ سبب سؤاله، فقد استقبلت بنفسى على مر السنين العديد من رؤساء المنظمات، وليس من السهل دائمًا تذكر أصول كل منهم. ابتسمتُ قائلًا: «نعم، أنا نرويجي».

وقال: هل تعرف سيلينا ميدلفارت؟

أجبت: نعم، التقيت بها عدة مرات. إنها شخصية معروفة فى النرويج.

– يا لها من فتاة لطيفة. ما كتبوه عنا فى الصحف النرويجية – كان جيدًا أم سيئًا؟ أتذكر رؤية صور فى الصحف لترامب وويرثة شركة مستحضرات التجميل النرويجية والمستثمرة فى حدث رياضى أو آخر، لكننى لا أتذكر أكثر من ذلك. لم أكن أعرف ما قالته الصحف.

«أجل، كان التقرير إيجابيًا. هى الآن متزوجة من رجل نرويجى ثري»، قلت.

«إنه ليس غنيًا.» رد ترامب

من الواضح أن رئيس الولايات المتحدة كان يعرف من هو المستثمر تور أولاف ترويم. ولكن هل كنتَ ثريًا لو كنتَ تملك بضعة مليارات كرونة؟ ربما لا، فى نظر دونالد ترامب.

إلى النص الذى كان ترامب يقرأه، تمت إضافة بضع كلمات بقلم أسود سميك: «يجب أن يدفع» و«ليس عادلًا».







بعد حوالى عشرين دقيقة، انتهى حديثنا الخاص. انضم إلينا مستشارو ترامب وعدد من أعضاء وفدي. لاحظتُ زملائى ينظرون بقلق بينما صافحتُ ترامب مرة أخرى من أجل المصورين. لكن الجميع حُرم من حكاية طريفة.

بالنسبة لترامب، كانت القضية الأهم هى إنفاق دول الناتو على الدفاع. أردتُ منه أن ينظر إلى التحالف بتفاؤل أكبر، وقد أحضر معه رسمًا بيانيًا يوضح تزايد الإنفاق. كان ترامب قلقًا للغاية من أن خمس دول أعضاء فقط قد حققت هدف إنفاق ٢% من الناتج المحلى الإجمالى على الدفاع. أشرتُ إلى أن العديد من الدول قريبة من تحقيق هذا الهدف، وأن ست أو سبع دول أخرى على وشك بلوغه قريبًا. ثم هناك أيسلندا: ليس لديها قوات مسلحة، لذا لن تنفق ٢٪ من ناتجها المحلى الإجمالى على الدفاع أبدًا. وبالتالي، فإن خمس دول من أصل ٢٧ دولة هى التى حققت الهدف، وليس خمس دول من أصل ٢٨، كما قلتُ، معتقدًا أننى قد أبدو غريب الأطوار مع كل هذه الأرقام.

لكن هذا لفت انتباه ترامب، وإن لم يكن بالطريقة التى قصدتها. «إذن، ماذا نريد من أيسلندا؟»

قبل أن أتمكن من قول أى شيء آخر، هرع جيم ماتيس لمساعدتي، موضحًا أهمية قواعد الناتو هناك لغواصات التحالف وسفنه وطائراته: «سيدى الرئيس، من الجيد وجودها إذا كنت ترغب فى تعقب الغواصات الروسية». فكّر ترامب للحظة. ثم قال: «حسنًا، إذن سنسمح لأيسلندا بالبقاء عضوًا».

سجادة زرقاء

فى حلف الناتو، لا نفرش السجادة الحمراء أبدًا، بل نفرشها زرقاء. يوم الخميس ٢٥ مايو ٢٠١٧، فرشنا سجادة زرقاء زاهية، طويلة وواسعة، امتدت من المدخل الرئيسى إلى الطريق المؤدى إلى مقر الناتو. انعكس اللون الأزرق على لون علمنا، الذى يرمز إلى المحيط الأطلسي، الذى يلتف حوله الحلف. كان كل شيء جاهزًا لحفل كبير حضره رؤساء دول وحكومات الناتو.

فى هذا اليوم، كان من المقرر أن يُشارك الرئيس ترامب لأول مرة فى قمة حلف شمال الأطلسى (الناتو)، وسنفتتح أيضًا المقر الجديد للحلف. وبينما كنتُ أتطلع إلى قيادة وقائع القمة، شعرتُ ببعض القلق. فبعد اجتماعنا فى البيت الأبيض قبل بضعة أسابيع، عادت الشكوك حول نظرة ترامب الحقيقية لحلف شمال الأطلسى (الناتو) إلى الظهور.

المادة الخامسة من معاهدة شمال الأطلسى (الناتو) هى بند الدفاع الجماعى لحلف الناتو، وتمثل جوهر التحالف: الواحد للجميع والجميع للواحد. رفض ترامب الإجابة بنعم واضحة على سؤال ما إذا كانت الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بهذا الضمان، على الرغم من تساؤلاتٍ الصحافة المستمرة. قال ترامب: « لماذا نحمى دولًا لا ترغب فى دفع ثمن أمنها؟ « . أثار هذا قلق العديد من الحلفاء. فمن وجهة نظرهم، كان ترامب يُحوّل الناتو إلى مجرد أداة حماية.

بعد تبادل بعض المجاملات، كانت الخطة هى اصطحاب ترامب إلى مكان نُقش فيه نص المادة الخامسة على الحائط، لالتقاط صور لنا أمامه. كنت أنوى أن أعرض على ترامب بعض المعلومات حول المبنى الجديد وحلف الناتو، لكن أسئلته المستمرة كانت تقطع عليّ الكلام. سأل: «هل تحتاجون حقًا إلى مقر كبير كهذا؟» «لماذا تحتاجون كل هؤلاء الناس؟»

أجبتُ بأنه على الرغم من أن المنظمة نفسها ليست كبيرة، إلا أن وفود الدول الأعضاء تستخدم المبنى أيضًا، مما يُسهّل الاجتماع مع تطبيق إجراءات أمنية مُتّخذة، ويستخدم الجميع الكافتيريا نفسها. أخبرتُ ترامب بمن صمم المقر الرئيسى : المهندسون المعماريون سكيدمور، أوينغز وميريل، الذين صمموا أيضًا فندق وبرج ترامب الدولى فى شيكاغو .

«أعرف هؤلاء الأشخاص. إنهم باهظو الثمن للغاية»، صاح ترامب. «لا أفهم لماذا اخترتم هؤلاء المهندسين المعماريين الباهظى الثمن. باهظو الثمن للغاية!»

أمام المدخل الرئيسي، شُيّد ممر صغير من الأشجار المزروعة حديثًا، وعلى جانبيه مروج. على أحدها، وقفت عارضة فولاذية ملتوية من برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك؛ وعلى الجانب الآخر، قطعتان من جدار برلين. شاهدان على بعض من أهم الأحداث فى تاريخ حلف الناتو. قدّمتُ أنجيلا ميركل كمتحدثة، مُذكّرةً الجميع بأنها كانت تعيش فى برلين ليس فقط عندما شُيّد الجدار عام ١٩٦١ ، بل أيضًا عندما هُدم عام ١٩٨٩، وتغيّرت أوروبا إلى الأبد.

كل يوم، يمرّ كل من يدخل هذا المبنى بهذا النصب التذكاري. سيدركون أن الحرية لن تُهزم أبدًا. وسيدافع الناتو دائمًا عن القيم التى بُنى عليها تحالفنا، هذا ما قلتُه. أعربت ميركل عن امتنانها لوجود الناتو خلال الحرب الباردة، وقالت إن سقوط الجدار يرمز إلى انتصار الديمقراطية، حتى بعد سنوات طويلة من النضال.

ثم جاء دور ترامب، واقفًا أمام قطعة من بقايا برجى مركز التجارة العالمي. أطلق على النصب التذكارى اسم «نصب الحادى عشر من سبتمبر والمادة الخامسة» ، للتأكيد على رمزيته للتضامن داخل حلف الناتو. قدّمتُ ترامب مؤكدًا على هذه الوحدة. قلتُ: «تكمن أعظم قوة حلف الناتو فى الرابطة الدائمة بين أمريكا الشمالية وأوروبا. لقد رأينا قوة هذه الرابطة بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة».

وتابعت: «يا رئيس ترامب، ضربت تلك الهجمات قلب مدينتك، نيويورك. ولأول مرة، فعّل حلف الناتو بند الدفاع الجماعي، المادة الخامسة. الواحد للجميع، والجميع للواحد».

كنتُ قد هيأت له اللقطة. كل ما كان على ترامب فعله هو تسليط الضوء على جهود حلف الناتو عندما تعرّضت الولايات المتحدة للهجوم، وطمأنة جميع الحاضرين بأن الأمر نفسه سينطبق عليهم إذا احتاجوا إلى مساعدة.

بدأ ترامب حديثه مطولاً عن خطر الإرهاب. لم يكن هذا غريباً، فقبل ثلاثة أيام فقط، فى ٢٢ مايو/أيار، هاجم انتحارى مدينة مانشستر فى المملكة المتحدة. أدان ترامب الهجوم الذى أسفر عن مقتل ٢٢ شخصاً وإصابة المئات. بعد ذلك، تطرق إلى التهديد الذى تمثله روسيا .

ثم جاءت اتهامات المحاسبة. قال ترامب: «ثلاث وعشرون دولة من أصل ٢٨ دولة عضو فى حلف الناتو لا تزال لا تدفع ما تستحقه من نفقات دفاعية. هذا ليس عدلاً لشعب الولايات المتحدة ودافعى الضرائب فيها».

فى اليوم السابق، تسلّمنا سرًا نسخة من الخطاب الذي سيلقيه الرئيس. كان الخطاب ممتازًا، إذ غطّى جميع النقاط المهمة، بما فى ذلك التزامات المادة الخامسة. ولكن فى مرحلة ما، لا بد أن ترامب اختار إلقاء خطاب مختلف عن الخطاب المعدّ.

بينما كنتُ واقفًا بجانبه، تمكنتُ من إلقاء نظرة سريعة على النص الذى كان يقرأه. كانت هناك بضع كلمات مُضافة بقلم تحديد أسود سميك: «يجب الدفع»، «غير عادل»، و«٢٪ هو الحد الأدنى المطلق!». شطب بوضوح بعض الكلمات وأضاف أخرى، لتوضيح الرسالة. ها هو ذا يُكرّس النصب التذكارى لأحداث ١١ سبتمبر والمادة ٥، ومع ذلك لم ينطق بكلمة واحدة عن المادة ٥.

ترجمة: أسماء زيدان

قالت العرب

إن هذه الكناسة مهلكة دنياكم وآخرتكم – يعني الشهوات وما يأكلونه

أبو هريرة

المشهد
العدد 342 - السنة الرابعة عشر ـ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ



© Reuters/R. Krause

ستولتنبرج: ترامب يحملنى مسؤولية تفكك حلف الأطلنطي

الرئيس الأمريكي: الولايات المتحدة لن تستمر فى كونها عضوا فى «الناتو» إلا إذا دفعت ألمانيا والولايات المتحدة نفس المبلغ

«ثلاثة مليارات دولار لمبنى كهذا! إنه أمر سخيف! الولايات المتحدة تدفع! إنه مبنى جميل، لكن طلقة واحدة من دبابة سينهار هذا المبنى»

فى يوم جمعة من صيف عام ٢٠١٨، قبل أسبوعين من قمة الناتو فى بروكسل، كان من المقرر أن أتحدث مع ترامب هاتفيًا. كانت المكالمة بناءً على طلبه، ولأننا التقينا مؤخرًا فى واشنطن، لم يكن واضحًا سبب طلبه التحدث معى مجددًا.

بدأ ترامب يُخبرنى عن روعة الأمور فى الولايات المتحدة. كان الاقتصاد فى أوج ازدهاره، رغم أنه سُلّمَ بلدًا مُدمّرًا. لكنه لم يتصل بى للتفاخر. كانَ الإنفاق الدفاعي، وتقاسم العبء المالى بين الدول الأعضاء فى حلف الناتو، هو ما أراد التحدث عنه حقًا.

ألمانيا تدفع ١٪! إنه لأمر صادم. ووفقًا له، كانت ميركل فى ورطة.

أخبرتُ ترامب أنها تعمل على زيادة ميزانية الدفاع الألمانية، لكن كزعيمة حكومة ائتلافية، لم يكن من السهل دائمًا التوصل إلى توافق. قاطعنى ترامب قائلًا: «الهجرة هى المشكلة الكبرى. لقد كان قرارًا سيئًا». كان يشير إلى جميع اللاجئين الذين فروا إلى ألمانيا خلال أزمة اللاجئين فى أوروبا.

ثم عاد إلى ميزانيات الدفاع. كانت إسبانيا تُنفق أقل من ١% من الناتج المحلى الإجمالى على الدفاع. وكان ملك إسبانيا فيليبى السادس قد قام للتو بزيارة دولة إلى واشنطن، واستُقبل فى البيت الأبيض. كانوا هنا وقالوا: شكرًا لكم على الحماية العسكرية. لكن اقتصاد إسبانيا جيد. هذا ظلم كبير.

كان ترامب قد التقى ميركل مؤخرًا أيضًا، وأخبرها أن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذا النحو. «قلتُ: أنجيلا، عليكِ أن تدفعي. عليكِ إنفاق ٢٪.» قالت: «ربما فى عام ٢٠٣٠» – وضحِكت وهى تقول ذلك... ضحكت!»

قال إن الولايات المتحدة تُنفق ٤% من ناتجها المحلى الإجمالى على الدفاع، وتُغطى ٨٠-٩٠% من نفقات حلف الناتو. وأضاف: «ولن نفعل ذلك بعد الآن. سندفع ما تدفعه ألمانيا».

فى نهاية المكالمة، كان تحذير ترامب واضحًا: «انظروا، إذا غادرنا، فسنغادر. أنتم بحاجة ماسة إلى الناتو. لسنا بحاجة إلى الناتو».

إذا انسحبت الولايات المتحدة، فسيكون التحالف قد انتهى. لقد حمّلنى ترامب مسؤولية احتمال تفككه. أراد منى تصحيح الأمور قبل القمة، التى كانت على بُعد ١٢ يومًا.

«قال ترامب خلال القمة التى عقدت فى بروكسل فى ١٢ يوليو ٢٠١٨: «الاتحاد الأوروبى مهم، ولكنه أهم بكثير لأوروبا منه للولايات المتحدة. لقد جاء الرؤساء الأمريكيون إلى هنا وكرروا هذا الكلام لسنوات. ثم عادوا إلى ديارهم ولم يحدث شيء. لقد ازداد الأمر سوءًا. أكنّ احترامًا كبيرًا لأنجيلا. وُلد والدى فى ألمانيا، ووُلدت والدتى فى اسكتلندا. لذا، فأنا جزء من الاتحاد الأوروبي. لكن يجب أن يتوقف هذا».

بعض ما قاله كان تحذيرات واضحة. «الولايات المتحدة لا تحتاج إلى حلف الناتو. لماذا أستمر فى دفع تكاليف هذه المنظمة وأنا لست بحاجة إليها؟»

ساد الصمت حول الطاولة. واصل ترامب حديثه مطولاً عن اختلال الميزان التجارى مع الاتحاد الأوروبي، وهو موضوعٌ آخر يُثير اهتمامه. «يُرسل الاتحاد الأوروبى سياراته من طراز بى إم دبليو ومرسيدس إلى الولايات المتحدة، معفاة تقريبًا من الرسوم الجمركية. لا يُمكن الاستمرار على هذا النحو. لن يستمر على هذا النحو.»

ثم جاءت المزيد من الانتقادات لأوروبا. قال ترامب: «الحدود التى لديكم مُريعة. قالت أنجيلا إن العديد من الأشخاص الذين يتدفقون هم من الشباب. هذا لا يبدو جيدًا. قد يكونون أعداء». وأضاف: «أكنّ احترامًا كبيرًا لأوروبا. وأكنّ احترامًا كبيرًا للأمين العام، الذى نجح فى جمع المزيد من الأموال. لكنها قليلة جدًا مقارنةً بما نحتاجه... عليكم أن تدفعوا حصتكم. يُمكن أن تدفع أنجيلا ٢% اليوم، لو أرادت! بدلًا من ذلك، تقول ١,٥% بحلول عام ٢٠٢٥!»

كرر ترامب: «علينا أن نتحدث عن هذا الآن. وإلا – كما تعلمون، وإلا فلن نكون أصدقاء».

ثم انتقل ترامب إلى الحلفاء الآخرين. «لا أريد أن يغادر الناس هذا الاجتماع وهم يقولون إن الجميع سعداء. أنا لست سعيدًا. كان بإمكانكم إسعادي. عندما لا تدفع دولة غنية، فذلك لأنهم يحاولون خداعنا، كما خدعوا كل رئيس منذ ريغان. عليكم أن تدفعوا. ٢% قليل جدًا. إنها مزحة! عليكم أن تستهدفوا ٤% إذا كنتم تريدون حماية مناسبة. إما أن تدفعوا ٢% فورًا، أو بحلول الأول من يناير. وإلا، فسنفعل ما يحلو لنا. ليس لدينا خيار. وكما تعلمون، أنا حقًا أختلف مع هذا المبنى. ثلاثة مليارات دولار لمبنى كهذا! إنه أمر سخيف! الولايات المتحدة تدفع! إنه مبنى جميل، لكن طلقة واحدة من دبابة سينهار هذا المبنى.»

عندما انتهى ترامب من حديثه، نهضت أنجيلا ميركل ، ودارت حول طاولة الاجتماع الكبيرة، وانحنت فوقي. همست: «علينا الرد على هذا. لا يمكننا أن ندعه يمر هكذا». كان من الواضح أنها تخشى أن يخرج الاجتماع عن السيطرة. أومأت برأسي.



إذا كان بإمكانك القول إن حلفاء الناتو قد زادوا إنفاقهم الدفاعى بشكل ملحوظ بفضلي، فأعتقد أننا نستطيع الاتفاق





أخذنا استراحة لبضع دقائق. تشاورتُ مع أنجيلا ميركل وإيمانويل ماكرون ورئيس الوزراء الهولندى مارك روته فى زاوية، بينما جلس ترامب قريبًا، عاقدًا ذراعيه، يتحدث مع مستشاره الأمنى جون بولتون ووزير الخارجية مايك بومبيو . اتفقنا على استحالة تغيير هدف الـ ٢%، لكننا ناقشنا أفضل السبل للتعامل مع الوضع وتهدئة الرئيس. كما تواصل فريقى مع زملائي، سعيًا لإيجاد حل للمضى قدمًا.

عند استئناف الاجتماع، كرّر ترامب مطالبته بوعود فورية بزيادة الإنفاق. وقال: «علينا أن نتحدث عن هذا الآن. وإلا – كما تعلمون، وإلا فلن نكون أصدقاء».

ثم، أخيرا، جاءت اللحظة التى كنت أخشاها منذ محادثتنا قبل اثنى عشر يوما، عندما قال ترامب إن الولايات المتحدة لن تستمر فى كونها عضوا فى حلف شمال الأطلسى إلا إذا دفعت ألمانيا والولايات المتحدة نفس المبلغ.

قال ترامب: «سأغادر هذا الاجتماع. لا داعى لوجودى هنا بعد الآن».

الآن، كل شيء سينهار، فكرتُ. نظرتُ فى أرجاء الغرفة. كانت تعابير وجه جميع القادة جامدة. أدرك الجميع أن الأمور على وشك الانهيار – القمة بأكملها، وكل إعلانات الاتفاق. إذا أعلن رئيس أمريكى أنه لم يعد يرغب فى الدفاع عن الحلفاء الآخرين وغادر قمة الناتو احتجاجًا، فإن معاهدة الناتو وضماناتها الأمنية لا قيمة لهما.

ربما يكون هذا الاجتماع هو الذى يُدمر الناتو، هكذا فكرت. وهذا يحدث الآن تحت إشرافي. لقد نجح التحالف فى العمل لمدة ٧٠ عامًا – ولكن ليس بعد ١٢ يوليو ٢٠١٨.

أعربت أنجيلا ميركل عما يدور فى أذهان الكثيرين، قائلة: «علينا أن ننقل هذا الأمر إلى برلماناتنا وجمعياتنا الوطنية. لسنا قادرين على اتخاذ القرارات هنا. سأكافح جاهدةً لتحقيق هدف الـ ٢% بحلول عام ٢٠٢٤. لكننى ببساطة لا أملك الأغلبية الكافية لأى شيء أكثر من ذلك فى الوقت الحالي».

ثم فعل ترامب شيئًا نادرًا ما يحدث فى مثل هذه الاجتماعات. قاطع رئيس حكومة آخر قائلًا: «هذا طويل جدًا، طويل جدًا جدًا».

لكن ميركل واصلت حديثها، مستخدمةً عبارةً كثيرًا ما سمعناها من ترامب: «لا بد لى من القول إننى لا أشعر بمعاملة عادلة هنا. أنت تتحدث بصراحة يا دونالد، لذا سأفعل الشيء نفسه. ألمانيا هى ثانى أكبر مساهم بقوات فى حلف الناتو. أحداث الحادى عشر من سبتمبر وأفغانستان هما المرتان الوحيدتان اللتان استُخدمت فيهما المادة الخامسة. لقد ساهم هذا فى حماية الولايات المتحدة، على الرغم من المعارضة الشديدة فى بلدي، حيث تساءل الكثيرون عن علاقة أفغانستان بنا. بإمكان ألمانيا بذل المزيد من الجهد، وربما يمكننا القيام بالأمور بشكل أفضل. لكن الآن يجب علينا الالتزام بالالتزامات التى قطعناها على أنفسنا».

اتفق الجميع على أن الدول الأعضاء ستزيد ميزانياتها الدفاعية إلى ٢% من الناتج المحلى الإجمالي. لكن المشكلة تكمن فى إصرار ترامب على تحقيق ذلك هذا العام. حددت الدول الأخرى هدفًا لتحقيقه فى عام ٢٠٢٤، وهو ما تم اعتماده أيضًا فى إعلان القمة فى اليوم السابق.

عاد ترامب للحديث، مُسهبًا فى الحديث عن نسبة إنفاق كل دولة عضو على الدفاع من الناتج المحلى الإجمالي، كما لو كان يُعلن نتائج مسابقة الأغنية الأوروبية. قال وهو يُحدّق بعينيه فى القائد المعني: «بلجيكا: ٠,٩%. هذا أقل من ١%. كرواتيا – يا إلهي، أنا مُحبطٌ منك للغاية، لا أُصدّق ذلك: ١,٢٦%. لا بدّ أنكَ تشعرين بالسوء». «إستونيا: ٢%. شكرًا لكَ! فرنسا: ١,٧٩%. ليس سيئًا يا إيمانويل. ليس سيئًا بالنسبة لك. لم تكن رئيسًا لفترة كافية، ومن المُرجّح أن ينخفض أداؤك. ألمانيا: ١,٢%. هيا يا أنجيلا! هيا!»

ثم تابع. حتى قال أخيرًا: «المملكة المتحدة: ٢.١٪. شكرًا لك. هذا جيد جدًا. الولايات المتحدة: ٤.٢٪ من أكبر ناتج محلى إجمالى على الإطلاق. لذا يُمكنكم وصفنا بالحمقى. لكننى لم أحضر هذه الحفلة منذ فترة طويلة. يا له من غباء! هذا كل شيء.»

انحنى نحو رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماى وقال شيئًا. ثم التفت إلى رجب طيب أردوغان ، رئيس تركيا، الجالس على جانبه الآخر، وصافحه بحرارة.

تحدث العديد من القادة الآخرين. تعاطف بعضهم مع طلب ترامب بزيادة الإنفاق فورًا، بينما كان آخرون متحفظين مثل ميركل وماكرون.

ثم أعطيت الكلمة لمارك روته. لم يكن هذا صدفة. التقينا على الغداء فى لاهاى قبل أسبوع من القمة، حيث ناقشنا كيفية دفع ترامب لدعم حلف الناتو، بما فى ذلك الإشارة إلى زيادة الإنفاق الدفاعى بمقدار ٣٣ مليار دولار.

قال روته: «سيدى الرئيس، لقد حثثتنا على إنفاق المزيد، وأنا أتفق معك. وهذا بالضبط ما نفعله. فى العام الماضي، أنفقنا ٣٣ مليار دولار إضافية على الدفاع بفضل قيادتك. لذا، فهذه أخبار سارة لك.»

أعجب ترامب بهذا. ثلاثة وثلاثون مليارًا. أومأ برأسه.

بعد برهة، أخرج قلم التحديد الأسود السميك الذى اعتاد استخدامه، ودوّن شيئًا على ورقة، ثم ناولنى إياها. كان خطه أنيقًا وجذابًا. كُتب فى المذكرة: «سيدى الأمين العام، إذا كان بإمكانك القول إن حلفاء الناتو قد زادوا إنفاقهم الدفاعى بشكل ملحوظ بفضلي، فأعتقد أننا نستطيع الاتفاق».

أتيحت لى أخيرًا فرصةٌ لإتمام الاجتماع. فأخذتُ الكلمة بنفسي.

فى المؤتمر الصحفى الذى أعقب الاجتماع، سأؤكد أن حلفاء الناتو قد زادوا إنفاقهم الدفاعى بشكل ملحوظ بفضل قيادة الرئيس ترامب ورسالته الواضحة، كما قلتُ، وكأننى أقرأ مباشرة من مذكرته. ثم أضفتُ: «وفى الوقت نفسه، لا تزال جميع الدول الأعضاء ملتزمة بحلف الناتو والمادة الخامسة من المعاهدة».

كنتُ آمل، رغم كل أمل، أن يكون هذا كافيًا لاختتام الاجتماع بطريقة مقبولة للجميع. لكن المشكلة كانت أنه لا يزال هناك ١٢ قائدًا على قائمة المتحدثين. لو سمحتُ ببدء النقاش من جديد، لبدا من المرجح جدًا أن يقول أحدهم على الأقل شيئًا يُغضب ترامب، مُسببًا انهيار الإجماع الهش. لذلك، نظرتُ متوسلًا حول الطاولة، إلى ميركل، وماكرون، وماي، وترودو، وأردوغان، وجميع الآخرين، واقترحتُ أمرًا غير مألوف تمامًا – أن نتحرك لوقف النقاش الآن، مع تأييد الجميع لخلاصتى المقترحة. سألتُ: «هل يمكننا الاتفاق؟»

كانت هناك إيماءات حول الطاولة، وظننتُ للحظة أن اليوم وحلف الناتو قد أُنقذا. لكن لا. رفع لارس لوك راسموسن، رئيس وزراء الدنمارك، يده مُعلنًا أنه لن يسحب اسمه من قائمة المتحدثين.

بدأ لوك راسموسن، وهو دانماركى مرح وبسيط، أعجبتُ به كثيرًا، حديثه بحذر، متحدثًا عن أهمية وحدتنا فى الأوقات الصعبة، ومؤكدًا على أهمية تقاسم العبء المالي بإنصاف. ثم حدّق فى ترامب وتوقف قليلًا. «لكن تقاسم العبء لا يقتصر على المال يا سيدى الرئيس، بل يتعلق بالدماء والتضحيات. الدنمارك بلد لا يتجاوز عدد سكانه خمسة ملايين نسمة، وقد فقدنا ٤٥ جنديًا فى أفغانستان ردًا على هجوم على الولايات المتحدة.»

من الواضح أنه قد طفح الكيل. ارتجف صوته وهو يقول: «من حيث عدد السكان، فقدت الدنمارك جنودًا فى أفغانستان أكثر من الولايات المتحدة». رفض أن ينظر فى عيون عائلاتهم ويقول إن حياة أحبائهم أقل أهمية لأن الدنمارك لم تحقق هدف الـ ٢٪.

ذكّرتنى هذه الحلقة بمشهد من فيلم «الحب الحقيقي» ، حيث يقف هيو غرانت، رئيس الوزراء البريطاني، فى وجه الرئيس الأمريكي. لكن هذا لم يكن فيلمًا، بل واقع. أدركتُ أن السماح للوكى راسموسن بالكلام كان صائبًا. مع ذلك، حبستُ أنفاسى عندما انتهى.

التزم ترامب الصمت. أدرك الجميع أنهم فى اجتماع تاريخي، ورغب العديد من القادة فى المشاركة فى الحدث بالتحدث، لكننى لم أسمح لهم بالكلام. انتهى الاجتماع.

عقد ترامب مؤتمره الصحفى مباشرةً بعد ذلك. وقال: «التزام الولايات المتحدة تجاه الناتو قويٌّ للغاية، ويظل كذلك، ولكن فى المقام الأول لأن الجميع – الروح المعنوية التى يتحلون بها، ومقدار الأموال التى يرغبون فى إنفاقها، والأموال الإضافية التى سيقدمونها – كان أمرًا مذهلًا حقًا. إن رؤية مستوى الروح المعنوية فى تلك القاعة أمرٌ لا يُصدق».

كما تطرق إلى مبلغ الـ ٣٣ مليار دولار، قائلاً: «سينفق الحلفاء ٣٣ مليار دولار إضافية على الأقل، بالإضافة إلى ما اتفقنا عليه سابقًا. نحن أكثر اتحادًا من أى وقت مضى. لا مشكلة».

حتى يومنا هذا، ما زلتُ مندهشًا من قبول ترامب لنتائج القمة. لو نفّذ تهديده بالانسحاب احتجاجًا، لكنا تُركنا لنلملم شتات حلف الناتو المنهار. أعتقد أنه أدرك أنه يصطدم بحائط بمطالبه بزيادة فورية فى الميزانية، لكنه فى الوقت نفسه غادر بروكسل مقتنعًا بأنه سيحصل على المزيد من المال بحلول العام الجديد.

عندما التقيتُ به فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك بعد بضعة أسابيع، ابتسم راضيًا. وسألني: «هل لا تزال الأموال تصل، يا أمين عام؟» أجبت : «سيدى الرئيس، الأموال تتدفق».

ترجمة: أسماء زيدان

بقلم: ينس ستولتنبرج
* الأمين العام السابق لحلف شمال الاطلسى ورئيس وزراء النرويج الأسبق

والمقال مقتطف نشر فى الجارديان وهو مُحرّر من كتاب «فى عهدي: قيادة الناتو فى زمن الحرب»

قالت العرب

إنهم يريدون أن يفتحوا العالم وهم عاجزون عن فتح كتاب
ويريدون أن يخوضوا البحر وهم يتزحلقون بقطرة ماء..

نزار قباني

الشهد
العدد 342 - السنة الرابعة عشر ـ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

عبدالرحمن الشرقاوي: نوبل لم تكن فى متناول توفيق الحكيم

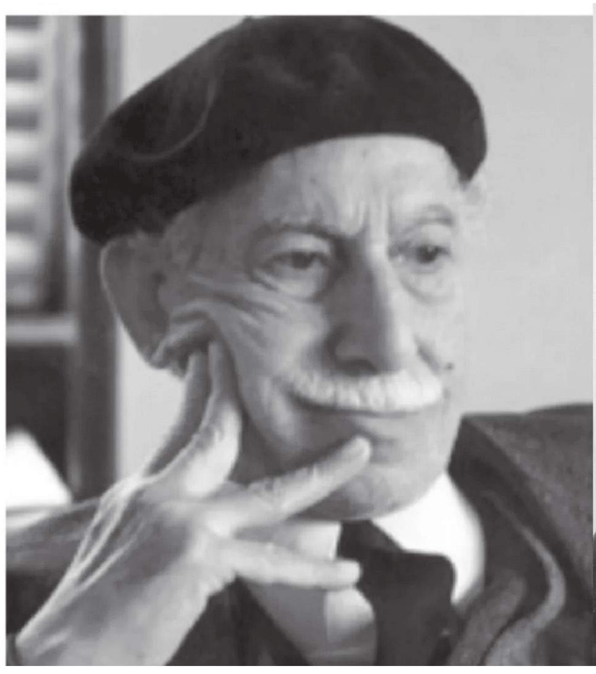
لم يدرك الحكيم قيمته كروائى إلا فى فترة متأخرة جدًا من حياته

وكان الحكيم بارعًا فى مغازلة السلطة، يغيّر مواقفه مع كل حقبة سياسية جديدة

يظل اسم توفيق الحكيم حاضرًا فى الذاكرة الثقافية العربية بوصفه أحد أبرز أعمدة الأدب والفكر فى القرن العشرين، ليس فقط بما تركه من أعمال روائية ومسرحية أثرت وجدان القراء، وإنما أيضًا بقدرته على إثارة الجدل فى حياته وبعد رحيله. علاقته المتقلبة بالسلطة، مواقفه المتباينة من الحقبة الملكية إلى عبد الناصر ثم السادات فمبارك، وترجماته إلى لغات العالم، وصولًا إلى سؤال نوبل الذى لاحقه طويلًا، كلها محطات تضع الحكيم فى قلب النقاش حول الأدب والسياسة والتاريخ.

فى هذا الحوار، يفتح لنا الدكتور عبدالرحمن الشرقاوى أستاذ الأدب المقارن بجامعة أوسكا فى اليابان، وجامعة القاهرة، صفحات متعددة من سيرة الحكيم الأدبية والسياسية، محللًا علاقته بالسلطة، وأسباب عدم حصوله على نوبل، وموقعه بين كبار الأدباء مثل طه حسين ونجيب محفوظ، كما يتوقف عند أعماله التى صنعت شهرته وجعلت منه أيقونة ثقافية فى مصر والعالم.





● العلاقة بين توفيق الحكيم والسلطات فى مصر مرت بتغيرات مختلفة من العصر الملكى وصولًا إلى مبارك فكيف ترى هذا الأمر؟

– كان الحكيم بارعًا فى مغازلة السلطة، فقد أرسل برقيات لعبدالناصر، وكان يتابع خطاباته وهو على سرير المستشفى. وعندما توفى عبدالناصر عام ١٩٧٠ كتب مقالًا بعنوان تمثال لعبدالناصر دعا فيه لإقامة تمثال له فى ميدان التحرير، وأعلن أنه سيتبرع بخمسين جنيهًا لهذا التمثال، علمًا بأنه حين تبرع لأبناء الشهداء لم يتجاوز تبرعه سبعة جنيهات ونشر ذلك فى الأهرام.

● ما الذى تغير فى موقف الحكيم خلال عهد الرئيس السادات؟

– للتخلص من إرث ناصر فى فترة السادات نشر كتاب عودة الوعي، ولم يكن هذا الكتاب استثناء فى مغازلته للسلطة، فقد رأى فى السادات صورة "الرئيس المؤمن". وبعد اغتياله كتب الحكيم سلسلة مقالات بعنوان حوار مع الله، وكانت ضد التيار الإسلامى تمامًا، مما أدخله فى مواجهة مباشرة مع الشيخ محمد متولى الشعراوى وكثير من الإسلاميين. هذه المقالات أدت إلى عزله نوعًا ما فى فترة مبارك، ولم يلتفت كثيرون إلى أن الحكيم كان يغير وجهته السياسية مع كل حقبة جديدة.

● هل يتضح هذا التغير فى أعماله الأدبية القديمة أيضًا؟

– نعم، فلو عدنا إلى روايته يوميات نائب فى الأرياف الصادرة عام ١٩٣٧ نجد أنها تضمنت انتقادًا مباشرًا لمرحلة ما قبل دستور ١٩٣٦ وحكومة صدقى باشا، حيث صور مشهد تزوير الانتخابات، وهو دليل على تبدله مع كل مرحلة سياسية لاحقة، من الملكية إلى عبدالناصر ثم السادات وصولًا إلى مبارك.

● وكيف كانت علاقته بالسلطة فى عهد الرئيس مبارك؟

– ظل على نفس النهج؛ حتى أنه خرج من المستشفى وهو مريض بعد أن حصل على إذن من الإدارة خصيصًا للقاء مبارك مع كتاب الأهرام، ثم عاد إلى المستشفى بعد اللقاء مباشرة. وفى مقابل ذلك حاولت سلطة مبارك أن تدعمه فى الحصول على جائزة نوبل

● ما موقف الحكيم من الحصول على نوبل من واقع وثائق نوبل المفرج عنها حتى الآن؟

– بالعودة إلى الوثائق التى أفرجت عنها لجنة نوبل حتى عام ١٩٧٢، يتضح أن طه حسين كان المرشح الأبرز حيث رُشح نحو ١٥ مرة من جهات مختلفة داخل مصر وخارجها، بينما كان توفيق الحكيم فى المرتبة الثانية، إذ لم يرشح سوى مرة واحدة فقط عام ١٩٦٩ على يد الدكتور شوقى ضيف.

● وهذا يعنى أن فرص حصوله على نوبل كانت صعبة؟

– عندما تنظر إلى قائمة المرشحين فى عام ١٩٦٩ تدرك صعوبة أن يحصل عليها، خاصة أن الحكيم بعد هذا التاريخ لم يقدم منجزًا أدبيًا كبيرًا يمكن أن يعزز فرصه فى الترشيح مرة أخرى.

● ما آلية عمل لجنة نوبل فى تقييم الأديب المرشح؟

– الترشيح يذهب أولًا إلى لجنة خماسية من الأكاديمية السويدية، لكن قبل ذلك يُعرض على خبير متخصص يكتب تقريرًا عن أعمال المرشح، يقيّم فيه القيمة الجمالية والتأثير الأدبى وعلاقته بمحيطه ومعاصريه. هذا التقرير يحفظ ويعاد النظر فيه إذا رُشح الأديب مرة أخرى، وفى حال لم يقدم جديدًا يكتفى بالتقرير القديم.

فجائزة نوبل لديها قائمة انتظار وكان من الممكن يكون توفيق الحكيم كذلك مثلما قيل عن طه حسين الذى فرزت أعماله مع البداية وحين يعاد ترشحيه كانت ترى اللجنة أنه لم يقدم جديداً يذكر ولم ينشر فى هذه السنة سوى عمل واحد ولم يحقق انتشاراً كبيراً وكان هو دعاء الكرون

● هل تمثل اللغة العربية عائقًا فى الحصول على نوبل؟

– نعم، من أهم العقبات أن لجنة نوبل لا تنظر إلى الأعمال بالعربية مباشرة، بل تعتمد على الترجمات المتاحة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والسويدية. وعندما صدرت رواية دعاء الكروان مثلًا، لم تكن قد تُرجمت إلى هذه اللغات التى تعتمد عليها اللجنة، وبالتالى لم تصل قيمتها الأدبية إلى أعضاء اللجنة كما ينبغي.

● تُرجمت أعمال الحكيم بكثرة إلى اللغات الأجنبية، هل هذا دقيق؟

– فى الحقيقة، الإحصائيات تكشف غير ذلك. أعمال الحكيم تُرجمت إلى عدد محدود من اللغات، مثل الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية، لكن غالبًا لم يترجم العمل الواحد إلا إلى لغة أو لغتين فقط، ونادرًا ما أعيد نشره فى نفس اللغة المترجم إليها.

● ما أبرز الأمثلة على ذلك؟

– رواية شهزاد تُرجمت إلى لغتين فقط، وعودة الروح إلى ثلاث لغات (الروسية والفرنسية والإنجليزية عام ١٩٨٤) عندما قرر الأمريكان الحصول على حقوق الملكية لنشر توفيق الحكيم على أمل أنه لو حصل على جائزة نوبل تكون لهم حقوق نشره.

أما مسرحية أهل الكهف فقد ترجمت ثلاث مرات فقط، ومعظم مسرحياته لم تترجم إلا مرة أو مرتين، وكان الاهتمام بترجمة كتبه الإسلامية أكبر نسبيًا، مثل كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذى ترجم عام ١٩٦٤ بجهود المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ولم يكن هناك اهتمام كبير بترجمة أعماله المسرحية فهى لم تترجم إلى مرة أو اثنين .

● هل هناك عمل حظى بترجمات أوسع من غيره؟

– أكثر عمل أدبى ترجم له فهو يوميات نائب فى الأرياف ففى حياة الحكيم وبإذنه ترجمت إلى ٨ لغات، وترجم إلى اليابانية مرة تاسعة دون أن يعرف الحكيم شيئاً ترجمت إلى الفرنسية ١٩٣٩ طبعة أولى، ١٩٤٢ ط ثانية، ١٩٧٤ ط٣، ١٩٧٨ ط٤، خمس طبعات

ويذكر الحكيم أنها ترجمت بدار بلون بباريس وهذا غير صحيح فهو ترجم بالأساس سنة ١٩٣٩م ترجمة مشتركة لمصرى وفرنسى وقدم له حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى وقتها ووزير الخارجية المصرية، وسفير مصر فى إنجلترا والذى سجن بعد يوليو. والترجمة خرجت من المعهد الفرنسى للآثار الموجود فى مصر.

وترجمت ونشرت بالعبرية عام ١٩٤٥م، ويذكر أنها ترجمة إلى الإنجليزية بدار هارفرد بلندن عام ١٩٤٧م ولم يذكر اسم مترجمها آبا إبان إلا فى الطبعة الأخيرة من هذه الرواية.

وترجمت إلى الإسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ ترجمة جرسيا جوميز المستشرق الإسبانى الكبير، ونشرت بالسويدية ١٩٥٥م، والألمانية ١٩٦١، وبالرومانية ١٩٦٢م، وبالروسية ١٩٦١م. اليابانية فى السبعينيات وترجمت معها عصفور من الشرق وقد كانت طبعة غير تجارية ولأغراض بحثية. وهناك طبعة إيطالية فى القرن ٢١ وفيه طبعة برتغالي.

> يوميات نائب فى الأرياف هى أكثر أعمال الحكيم ترجمة وانتشارًا عالميًا

> الهالة الإعلامية الضخمة فى مصر صنعت صورة أن الحكيم الأحق بجائزة نوبل



> ترجمات الحكيم غالبًا قدمت نصوصه كوثائق إدانة للمجتمع لا كنصوص أدبية خالصة

● هل تكررت هذه الوفرة مع بقية أعمال الحكيم؟

– لا، معظم أعماله الأخرى نادرًا ما تكررت ترجماتها. مثلًا أهل الكهف ترجمت ثلاث مرات فقط، على عكس يوميات نائب فى الأرياف التى ترجمت وأعيد طباعتها أكثر من مرة، مما يجعلها عمله الأكثر حضورًا عالميًا.

● توفيق الحكيم رُشح لجائزة نوبل عام ١٩٦٩، لماذا لم يحصل عليها رغم أن معظم أعماله كانت مترجمة؟

– ببساطة، نوبل لا تُمنح غالبًا من أول ترشيح. يلزم أن يكون هناك إنتاج مستمر ومتجدد، وهذا لم يكن متحققًا عند الحكيم فى تلك الفترة. على العكس، نجيب محفوظ كان ما يزال ينشر أعماله بانتظام، بل عندما حصل على الجائزة كانت روايته قشتمر تُنشر مسلسلة فى الصحف.

● هل ظهر اسم نجيب محفوظ فى ترشيحات نوبل قبل ١٩٧٢؟

– لا، حتى عام ١٩٧٢ لم يكن اسم نجيب محفوظ قد ظهر بعد فى قوائم الترشيح. بينما كان توفيق الحكيم مدعومًا بسلطة سياسية وبمؤسسة صحفية قوية من أصدقائه وزملائه فى فرنسا، ثم بالمناصب القيادية التى تولّاها فى مصر بعد ذلك. فى المقابل، محفوظ كان موظفًا عاديًا ولم يكن لديه "جيش من المدافعين عنه".

● هل لو كان توفيق الحكيم حيًا وقت منح نوبل لنجيب محفوظ كان من الممكن أن يحصل عليها؟

– رأيى الصريح أنه حتى لو كان حيًا لم يكن سيحصل عليها. ولسنا بحاجة إلى الانتظار حتى ٢٠٣٨ حين تُكشف آخر الوثائق، بل يكفى خمس أو ست سنوات قادمة لتأكيد هذا الرأي.

● لماذا ترى أن فرص الحكيم فى نوبل كانت محدودة؟

– لأن الأجانب كانوا يفضلون أعماله الروائية على المسرحية، بينما كان هو يصنف نفسه كاتبًا مسرحيًا. مسرحياته اعتمدت كثيرًا على التراث العالمى والأساطير الإغريقية، وهو بالنسبة لهم لم يبتكر جديدًا. الحكيم عاش فى عالم ذهنى غير واقعي، بينما نجيب محفوظ انغمس فى واقعه.

● كيف انعكس ذلك فى تجربة كل منهما؟

– كما يقول عبدالمحسن طه بدر فى كتابه الروائى والأرض، انشغل الحكيم بالبحث عن مذهبه الفنى بعيدًا عن الواقع، فأصبح التقاطه لواقعه فقيرًا جدًا. لو استمر وكيلًا للنيابة لوجد مادة أدبية غنية من الواقع، لكنه اختار العيش فى عالم الأفكار والكتب. بينما نجيب محفوظ استلهم عالم الموظفين، والفتوات، والتجار، وأحياء القاهرة الشعبية. كان قارئًا نهمًا لكنه لم يستعرض ثقافته فى نصوصه، بل قدّم أدبًا يعكس واقعه. أما الحكيم فجزء كبير من أدبه كان استعراضًا لثقافته، وهذا لم يساعده فى نيل نوبل.

● هل كان المسرح بالنسبة للحكيم مشروع ريادة أكثر من كونه مشروع إبداع؟

–نعم. فى البداية جرّب الشعر ثم الرواية، لكنه وجد أن جيله مملوء بالمنافسين مثل العقاد وطه حسين والمازني. المسرح كان بالنسبة له "الملعب الفارغ" الذى سيحقق له الريادة. بالفعل كانت له علاقة بالمسرح منذ المرحلة الثانوية، ثم طوّره فى أوروبا على المقاس الغربي. لكنه بانخلاعه من جذوره الثقافية لم يصنع مسرحًا من ثقافته الخاصة، بل استورد موضوعات أوروبية وأعاد تقديمها.

● فى رأيك، هل كان توفيق الحكيم مدركًا لقيمته كروائي؟

– أعتقد أنه لم يدرك ذلك إلا متأخرًا جدًا. كان عليه أن يغضب من نفسه لأنه أساء التقدير. لو عاد مبكرًا للرواية لكان صنع عالمًا قصصيًا فريدًا، فقد امتلك عدسة وبؤرة لالتقاط ساخر للأحداث، يحولها إلى كوميديا أو مأساة خرافية بذكاء وموهبة حقيقية.

● ما الذى يميز الحكيم عن غيره من الكتاب مثل نجيب محفوظ؟

– الحكيم تخلص من عقدة الرقابة الذاتية التى كانت عند محفوظ وغيره. لم يتردد فى نشر فضائح تخصه، قصصًا وخطابات لعلاقاته النسائية، بل وحتى تفاصيل صادمة مثل ما ذكره فى مصر بين عهدين عن مشاهدته أفلامًا إباحية فى فرنسا بالخطأ مع زوجته. كان جريئًا فى هذه الناحية.

● هل هذا التفرد السبب فى أن أعماله الروائية التى حققت النجاح الأكبر سواء محليًا أو عالميًا؟

– نعم أعماله الروائية هى التى جذبت الترجمة، لا المسرحيات. عودة الروح أعيد نشرها مرات، وعصفور من الشرق تحولت إلى فيلم. أما يوميات نائب فى الأرياف فهى الأبرز: صدرت أول مرة عام ١٩٣٧، ثم توالت طبعاتها فى ١٩٣٩ و١٩٤٢ وغيرها، وآخر طبعة عام ٢٠١٥. تحولت لفيلم بقرار من عبدالناصر، ثم لمسلسل عام ١٩٨١، وعولجت مسرحيًا أكثر من مرة. نالت اهتمامًا جماهيريًا وأكاديميًا ووزعت على طلاب المدارس.

● كيف وصلت نجومية الحكيم إلى الجمهور فى الثمانينيات؟

– كانت له هالة ضخمة. يكفى أن الأهرام نشرت خبرًا بأن هاتف توفيق الحكيم معطل، وفى اليوم التالى أصدرت مصلحة التليفونات بيانًا تؤكد فيه أن العطل ليس عندها، بل لأن سماعة الهاتف لم تكن موضوعة! هذا يعكس مكانته الرمزية فى مصر آنذاك.

● هل استمرت أعماله تُترجم بعد رحيله؟

– نعم، مثل يوميات نائب فى الأرياف التى ترجمت إلى الإيطالية عام ٢٠٠٧، بعد ٧٠ عامًا من صدورها، لتفتح لنفسها جمهورًا جديدًا. وصلت ترجماته إلى الكتلة الشرقية والغربية على حد سواء.

● لماذا كان هناك اعتقاد فى مصر أن الحكيم الأحق بنوبل؟

– لأن الهالة الإعلامية حوله كانت كبيرة. لكن فى الخارج لم تكن الصورة كذلك. طه حسين مثلًا تُرجم قبله وبشكل أفضل، وكتب بالفرنسية نفسها. نجيب محفوظ أيضًا تُرجمت أعماله تجاريًا عبر دور نشر خاصة فى أوروبا. أما ترجمات الحكيم فكثير منها خرج من مؤسسات بحثية أو حكومية، وليست دور نشر تجارية، وهذا فارق مهم.

● هل هناك دوافع خفيفة لترجمة نائب فى الأرياف إلى الإنجليزية والفرنسية أكثر مرة؟

– فى الترجمات عادة ما يتم "استئناس النص" أى تقريب روحه إلى القارئ الجديد. لكن فى حالة الحكيم، كثير من الترجمات لم تقدمه كأديب بل كوثيقة إدانة للمجتمع المصري. مثلًا، آبا إيبان فى ترجمته الإنجليزية أراد أن يظهر تخلف المجتمع وفساده، والنسخة الفرنسية قدمت النص ليُقال إن الإنجليز سبب القذارة. فى الحالتين لم يكن الهدف تقديم نص أدبى للقارئ الغربي، بل تقديم صورة سلبية عن مصر.

حاوره: د. عبدالكريم الحجراوي

لماذا تعانى اللغة العربية فى الوقت الراهن؟

ربما من ولد فى قرية فى جنوب مصر مثلى وعاش فيها سنوات عمره الأولى ولم ينقطع عن زيارتها بشكل دورى كل عام، عليه ألا يشعر بأن اللغة العربية تعاني، وهو يرى حرص أهالى قريته وما يجاورها من قرى على إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب فيحفظونه كاملًا وهم دون العاشرة. وكذلك حرص هؤلاء الأهالى بالتبرع بالأراضى والأموال بجمعهم من بعضهم البعض من أجل بناء المعاهد الأزهرية لينخرط أبناءهم فى التعليم الأزهري.

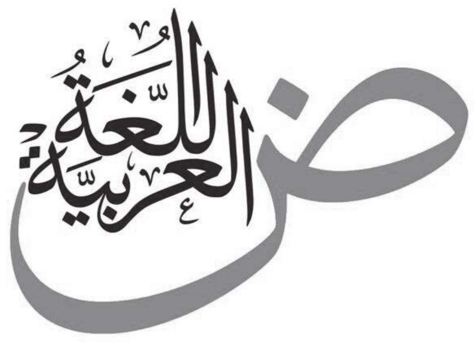
يدلل هذا الجانب فى عمق المجتمع المصرى على الأقل فى محافظات الجنوب بشكل واضح على أن اللغة العربية لا تعاني. فهل يمكن أخذ هذا المظهر للقول بأن اللغة العربية ما زالت بعافيتها وعنفوانها. أما القول بأن العربية الدينية ــــإن صح التعبيرــــ أو المرتبطة بجانب الدين هى التى مازالت فتية وقوية وتشهد إقبالًا كبيرًا لا يستطيع أن ينكره عاقل. لنأتى السؤال الأهم هنا. ماذا عن بقية جوانب اللغة العربية الأدبية والاجتماعية والعلمية. التى تتفاوت فيها اللغة العربية قوة وضعفًا بشكل كبير.

فإذا نظرنا إلى الجانب الأدبى فعلى مدار أكثر من ١٦ قرنًا من تاريخ اللغة العربية حظى الشعر بالمكانة الأكبر فيها والاحتفاء والتقدير وعليه كانت تعطى الأعطيات والخلع والهدايا والمكانة الاجتماعية الأدبية الكبيرة وكان تلك المكانة لها أسبابها المنطقية من حقبة لحقبة، وتفاوتت جماليات هذا الشعر عبر هذه الحقب. أما السرد فقد أخذ مسارين ناحية رسمية وأخرى شعبية، فى الناحية الرسمية اقتصر السرد على فنون أدبية بعينها مثل الرسائل والمقامات والتأريخ باللغة تحتفى بالسجع والجناس فى محاولة لأن يكون النثر صنو الشعر المقفى فى الموسيقى خاصة مع أمة تحتفى بالشفاهة والسماع أكثر من القراءة والتدوين ــــوالشواهد على ذلك كثيرةــــ، فكان الاهتمام بالألفاظ نفسها ووقعها على أذن السامع كبيرًا ربما أكبر من الاهتمام بالمضمون فى حد ذاته مما عطل من سلاسة السرد.

أماعن السرد الشعبى فكان أفضل حالًا وأكثر تحررًا وخيالًا من الإبداع السردى الرسمى خاصة مع السير الشعبية عنترة، حمزة البهلوان، الزير سالم، الظاهر بيبرس...إلخ وحكايات ألف ليلة وليلة، فقد قطعت هذه الفنون المهمشة وغير المعترف بها رسميًا شوطًا كبيرًا نحو السلاسة السردية مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه السير والحكايات كانت تروى بشكل شفاهى فى قصور الخلفاء وفى الأسواق والمقاهى أى أن العنصر المتعلق بالموسيقى اللفظية ظل ملازمًا لها؛ لكن من ناحية أخرى كان المضمون الحكائي، بل إن هناك نموذجًا فريدًا استطاع الجمع ما بين سلاسة السرد والتخلى عن الصنعة اللفظية وكتبت بأسلوب أقرب إلى السرد الروائى المعاصر يتمثل فى سيرة حمزة البهلوان.

ومع حالة التردى التى مر بها العالم العربى والإسلامى ضعفت اللغة العربية بصورة كبيرة فى كل جوانبها الأدبية، وأصبحت الزخرفة اللفظية الغالبة عليها فى شعرها ونثرها، ويظهر ذلك بوضوح فى النماذج الموجودة لهذه الحقب خاصة بعد سيطرة المماليك الذى كان اهتمامهم الأكبر بأمور الجند لا الأدب فهم فى الأصل عبيد تم جلبهم من بيئة غير عربية وهم صغار وجرت تربيتهم تربية عسكرية فى المقام الأول ولم تكن العربية وفنونها الأدبية من دائرة اهتمامهم فى زمن كان اعتماد الأدباء والشعراء فى المعاش على ما يمنح إليهم من ولاة الأمور. ومع دخول العثمانيين إلى مصر اشتدت أزمة اللغة العربية فى جانب الأدبى فالعثمانيون الذين لم يهمشوا اللغة العربية وحدها بل همشوا العالم العربى كله فى جميع مناحى الحياة. خاصة وأن اللغة العربية لم تكن لسان الأتراك، واقتصار دورهم فى الدول التى وقعت تحت سيطرتهم على حمايتها عسكريًا وجمع الضرائب من هذه البلاد دون أى دور اجتماعى يسهم فى خلق حركة علمية أو أدبية تواكب المتغيرات التى لحقت بالعالم فى ذلك الفترة بل عزلتهم عنها تمامًا ولم يبق إلا بصيص من نور يقدمه الأزهر الشريف؛ لكنه لم يكن يشفع لإعادة إحياء للغة لا شعرًا ولا نثرًا. حتى حدثت الصدمة التى تلقها المصريون والعرب على يد الحملة الفرنسية وعلى إثرها أدركوا حقيقة واقعهم المرير فى شتى المجالات يظهر ذلك الضعف فى الكتب التى وصلت إلينا من هذه الفترة.

وفى عصر محمد على عمل كثير من الرواد الذى ابتعثهم إلى الخارج على نقل ما تعلموه إلى المصريين وبدأت هذه النهضة اللغوية شعرًا فن العرب الأول مع مدرسة «الإحياء والبعث» الذى يكشف اسمها بوضوح عما جرى للغة العربية الأدبية. وفى هذه الفترة أيضًا نشأ الصراع الذى ما زال حيًا حتى الآن بين العامية والفصحى خاصة مع الفنون الأدبية المستحدثة ولم تكن موجودة من قبل التى تعتمد على الحوار وعلى رأسها المسرح بصورته الغربية الذى بدأ مع يعقوب صنوع بالعامية المصرية حتى إن رفاعة رافع الطهطاوى ترجم مسرحية هيلانة الجميلة قبله بلغة تخلط بين العامية والفصحى، وله رأى فى هذه المسألة ودعا إلى التصنيف والكتابة بالعامية فى بعض المسائل التى تتعلق بالعامة. فيما قام تلميذه محمد عثمان جلال بترجمة مسرحيات راسين وموليير بالزجل العامى المصري. ومع دخول الإنجليز مصر ودعوة المستشرقين لتنحية الفصحى والعمل على تطوير العامية اشتدت حدة الصراع بين الفصحى والعامية وأخذت بعدًا دينيًا وقوميًا فى الآن ذاته، بوصف أن هؤلاء المستشرقين يهدفون من خلال دعوتهم تلك إلى تصفية الإسلام نفسه بإبعاد الناس عن اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ما كان له أثر عكسى فى نفوس المصريين وربطوا ما بين العامية والبعد عن الدين.



ومع ظهور القومية المصرية ودعوات أحمد لطفى السيد إلى ما يطلق عليه التمصير أخذت العامية المصرية فى بداية القرن العشرين فى الصعود لكن الفصحى كانت أيضًا خطت خطوات جادة وقوية خاصة فى الجانب الشعرى والمدارس الشعرية المختلفة التى ظهرت فى هذه الفترة وما تلتها. أما السرد فكان آخذ فى طريقه للتشكل يعمل على التخلص من الرطانة اللفظية والمحسنات البديعية، سواء فى لغة الصحافة التى كان له دور بارز فى تطوير السرد العربى أو مع فن الرواية والقصة القصيرة.

وواصلت الحركة السردية العربية نضجها عبر عقود أسفرت عن فوز أحد أدباء العربية على جائزة نوبل للآداب فكان من حيثيات منح الجائزة له «أسهم فى تطور اللغة الأدبية فى الأوساط الثقافية على امتداد العالم الناطق بالعربية». وكان أول فائز بهذه الجائزة لغته الأم هى العربية. وحظيت الثقافة العربية بعدد من الكتاب والروائيين الكبار الذى يمتلكون أدواتهم الإبداعية بشكل مدهش ومتفرد، حول الأمة العربية لأول مرة فى تاريخها الرسمى من الشعر إلى السرد حتى سادت العبارة التى أطلقها الدكتور جابر عصفور وعبرت عن هذه المرحلة التى نعيشها بأننا نعيش فى زمن الرواية. مع الأخذ فى الاعتبار كما ذكرنا آنفًا أن الثقافة الشعبية قد احتفت بالسرد منذ القدم عبر سيرها وحكاياتها الشعبية. لكنها كان ينظر إليها من النخبة على أنها متدنية القيمة، وربما يعاقب من يقرأها من قبل آبائهم كما كشف عن ذلك طه حسين سواء فى سيرته أو فى روايته دعاء الكروان وغيرها من الأعمال. إذا فى إن اللغة العربية تتمتع بالقوة سواء فى جانبها الدينى أو الأدبى وتعافت فى القرن الأخير من عوامل الضعف الأسلوبية التى لحقت بها على مدار قرون لكن لماذا اللغة العربية تعانى رغم أنه يصل عدد المتحدثين بها إلى نحو نصف مليار، وهى لغة الطقوس الدينية لنحو مليار ونصف مسلم حول العالم.

وفى ظننا أنها تعانى لأنها تحولت إلى لغة محلية، وليست لغة عالمية، لغة ضعيفة من الناحية العلمية ليس لديها ما تقدمه سوى فى الجانبين الدينى والأدبي، محصورة على الناطقين بها أو من يدينون بالإسلام. فى عصر توغلت فيه التكنولوجيا الرقمية تتعمق أزمة اللغة العربية ففى القرن الماضى كانت المجامع العربية قادرة على تعريب المنتجات الغربية المستحدثة ولم تكن موجودة من قبل مثل الثلاجة والغسالة أو حتى القطار الذى أخذوه من قطار الجمال القديم؛ لكن الآن بات من الصعب على اللغة العربية ملاحقة كل هذه التطورات الحادثة التى جعلت هناك لغة عالمية موحدة يتعامل بها العالم كله أى كانت لغته والمتمثلة فى اللغة الإنجليزية. وفى هذا تتشارك اللغة العربية مع لغات العالم بيد أنها تختلف بأن اللغات الأخرى مثل الفرنسية والألمانية لديها ما تقدمه بلغتها، ولا يتعلم أبناؤهم العلوم الطبيبة المختلفة والهندسية بلغة أجنبية لأنهم مشاركين فى صنع هذه العلوم ولهم إسهاماتهم فيها وهو ما تفتقده اللغة العربية تمامًا مما يجعل منها فى هذا المضمار لغة تابعة غير قادرة على التخلص من هذه التبعية.

ويقودنا الحديث عن التبعية إلى مسألة جانب أخر من الجوانب التى تعانى منها اللغة العربية ويتمثل فى الجانب الفكرى غير قادرة حتى الآن التعبير عن هويتها التى تسمح لها بمواكبة التطورات الحديثة. وتتجلى هذه التبعية لدى كثير من المترجمين غير المنغرسين فى الثقافة العربية بإرثها الثقافى الطويل، وعلى الجانب الآخر مولعين بالثقافة التى ينقلون عنها يتماهون معها فى كثير من الأحيان، وهو الحادث أيضًا مع عدد المثقفين والكتاب يتحدثون بلسان عربى لكن بتفكير غربى لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات العربية، مما يجعل الثقافة العربية الحديثة فكريًا غارقة بين اتجاهين متعارضين الأول منفصل عن الثقافة العربية يريد هدمها والسير على غرار النموذج الغربى المتقدم واتجاه معارض يوغل فى التراث والتاريخ العربى ويعمل على إعادته بزمنه القديم لا وفق لمقتضيات الواقع المعاصر. أحدهم يرفع شعار تجديد الخطاب الثقافى والدينى بغرض هدمه وآخر يشكك فى نوايا هؤلاء الذين يراهم يستهدفون الدين. حلقة مفرغة يدور فيها العقل العربى منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن لم يستطع تجاوزها.



د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 342 - السنة الرابعة عشر- 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

قالت العرب

أنا منذُ خمسين عامًا أحاولُ تصريف فعل الغرامْ
ولكننى فى دروسى جميعًا رسبتُ .. فلا فى الحروب ربحتُ..
ولا فى السلامْ.
نزار قباني

تعهد ترامب بحماية قطر يغضب المحافظين:

هل أنتم مستعدون للموت من أجل قطر؟

لابيد يهاجم نتنياهو

هاجم زعيم المعارضة يائير لابيد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو على خلفية إعلان البيت الأبيض أنّ الرئيس الأميركى دونالد ترامب وقّع أمرًا يقضى بتعهد الولايات المتحدة بالدفاع عن قطر فى حال تعرضت لهجوم، وذلك بعد فشل الهجوم الإسرائيلى الذى استهدف قادة حماس فى الدوحة.

وكتب لابيد على منصة «إكس»: «هذا فشل دبلوماسى غير قابل للاستيعاب من قِبل حكومة نتنياهو. هجوم فاشل فى الدوحة، وسلوك مهمل تجاه الإدارة الأميركية، وانعدام كامل للرؤية الدبلوماسية، كل ذلك أدى إلى انهيار المكانة الفريدة لإسرائيل فى الولايات المتحدة وإلى نجاح دبلوماسى لم تكن قطر لتحلم به قبل عامين».

تايمز أوف اسرائيل

نيو ريبابلك

يشعر المحافظون المؤيدون لإسرائيل من تيار «اجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى» بالغضب، بعدما قدّمت إدارة ترامب ضمانات حماية لحليف الولايات المتحدة القديم، قطر، عقب قصف إسرائيل لعاصمتها الدوحة الشهر الماضي.

وقالت الإدارة فى أمر تنفيذي: «ارتبطت الولايات المتحدة ودولة قطر على مرّ السنين، بعلاقات تعاون وثيق ومصالح مشتركة وعلاقات متينة بين قواتنا المسلحة، واعترافًا بهذا التاريخ، وفى ظل التهديدات المستمرة التى تواجهها دولة قطر من العدوان الخارجي، فإن سياسة الولايات المتحدة تقوم على ضمان أمن وسلامة أراضى دولة قطر ضد أى هجوم خارجي.

ستعتبر الولايات المتحدة أى هجوم مسلح على أراضى أو سيادة أو بنية قطر التحتية الحيوية تهديدًا للسلم والأمن الأميركي».

وقد أثار هذا القرار موجة استنكار داخل أوساط اليمين المتطرف على الإنترنت.

فقد كتبت المعلّقة اليمينية المتطرفة لورا لومر: «ماذا عن ضمان سلامتنا نحن من قطر؟! قطر تُغرق بلادنا كل يوم، بمليارات الدولارات لتمويل قضايا يسارية راديكالية وشيوعية وإسلامية داخل الجامعات والمؤسسات الكبرى.. كما أن قطر موّلت إيران قبل أن تحاول اغتيال ترامب».

وقالت المحامية مارينا مدفين، التى تولت الدفاع عن متمرّدى ٦ يناير: «قطر المموّلة للإرهاب، والتى تقود حملة تضليل واسعة النطاق ضد إسرائيل ومؤيدة لقطر داخل الولايات المتحدة، نجحت الآن فى أن تكون الاستثمار الأجنبى الأكثر فاعلية فى التاريخ. لقد تعهد البيت الأبيض للتوّ بأرواح الأميركيين لحماية قطر».

أما الإعلامى فى «فوكس نيوز» (والصهيونى المتشدّد) مارك ليفين، فقد علّق بلهجة درامية قائلًا: «محمية أميركية جديدة اسمها قطر! هل سندخل حربًا مع إسرائيل إذا قتلت إسرائيل قيادة حماس فى قطر؟ ألن يكون من الأفضل ربط أى دفاع عسكرى عن قطر ببعض الشروط الأساسية؟ مثل: تسليم قادة حماس؛ والتوقف عن تمويل الإرهابيين حول العالم؛ والتوقف عن تمويل المجموعات الماركسية- الإسلامية داخل الولايات المتحدة. هذا هو الحد الأدنى».

وكان رد الفعل الأولى من هذه الأصوات هو الخوف على اسرائيل، وكتب ناشط يمينى آخر على منصة «إيكس» : بالمناسبة، لا يوجد أى ضمان مماثل لإسرائيل، فالجنود الأميركيون لم يموتوا أبدًا من أجل إسرائيل.. فهل أنتم مستعدون للموت من أجل قطر»؟



لماذا تعهد ترمب بحماية قطر؟



سى ان ان

منح الرئيس دونالد ترامب دولة قطر ضمانة أمنية استثنائية قد تشمل التدخل عسكريًا للدفاع عنها، فقد أعلن ترمب فى امر تنفيذى صدر مطلع هذا الأسبوع، أن الولايات المتحدة ستعتبر أى هجوم على أراضى قطر أو سيادتها أو بنيتها التحتية الحيوية «تهديدًا للسلام والأمن القومى للولايات المتحدة» نفسها.

ما هو أهم من ذلك، أن الأمر التنفيذى يشير إلى احتمال أن تدافع الولايات المتحدة عن قطر عسكريًا، وجاء فيه: «فى حال وقوع مثل هذا الهجوم، ستتخذ الولايات المتحدة جميع الإجراءات القانونية والملائمة، بما فى ذلك الدبلوماسية والاقتصادية، وإذا لزم الأمر العسكرية، للدفاع عن مصالح الولايات المتحدة ودولة قطر، واستعادة السلام والاستقرار.»

ويمثل هذا تطورًا غير مسبوق فى العلاقات المثيرة للجدل بين ترامب والشرق الأوسط، لعدة أسباب.

ضمانة أمنية شبيهة بالناتو

من اللافت أن صياغة الأمر التنفيذى تشبه إلى حد كبير الضمانة الأمنية التى يوفرها حلف شمال الأطلسى (الناتو) لأعضائه، وقطر ليست عضوًا فى الناتو، لكن إدارة بايدن صنفتها عام ٢٠٢٢ حليفًا رئيسيًا من خارج الحلف.

وتنص المادة الخامسة من معاهدة الناتو على أن أى هجوم مسلح على أحد أعضائه يُعتبر «هجومًا على الجميع»، كما تلزم الأعضاء بمساعدة الطرف المعتدى عليه باتخاذ الإجراءات اللازمة «بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة» من أجل استعادة الأمن فى منطقة شمال الأطلسى والحفاظ عليه.

ولا يلتزم الامر التنفيذى الذى أصدره ترمب بنفس الدرجة القاطعة بالرد العسكرى إذا تعرضت قطر لهجوم (لأسباب سنأتى إليها)، لكن اعتبار أى هجوم على قطر تهديدًا مباشرًا للولايات المتحدة يُعد نقلة نوعية فى العلاقة مع هذا الحليف العربي.

ترامب يفعل ذلك بشكل أحادي

مع ذلك، هناك فروق أساسية بين هذه الخطوة وضمانة الناتو الأمنية، أبرزها أن ترامب اتخذها بشكل أحادى عبر أمر تنفيذي، وهذا أمر بالغ الأهمية، لأنه يعنى أنها ليست معاهدة ملزمة قانونيًا تم التصديق عليها، أى ليست اتفاقية تحتاج موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي، بل هى وعد يقدمه ترامب مستخدمًا صلاحيات منصبه، وبالتالي، فهى التزام لا يُلزم الرؤساء القادمين بالضرورة.

لكن حقيقة أن ترامب يقوم بذلك بشكل أحادى تُعد بحد ذاتها أمرًا لافتًا، فالدستور يمنح سلطة المعاهدات بشكل صريح لمجلس الشيوخ، وها هو الرئيس يتجاوز الكونغرس فى مسألة على درجة كبيرة من الخطورة، تصل إلى احتمال التزام الجيش الأمريكى بخوض حرب.

لقد تجاوز ترامب الكونغرس فى العديد من القضايا التى تُعد عادة من صلاحياته، وأبرزها الرسوم الجمركية التى ينظر فيها حاليًا المحكمة العليا، وغالبًا ما نجح فى ذلك بفضل استسلام الجمهوريين فى الكونغرس، الذين لا يرغب كثيرون منهم فى تحديه، ومع ذلك، يدفع ترامب مرة أخرى بالحدود إلى أقصى مدى.

مخاوف الجمهوريين

السؤال الكبير هو ما إذا كان الجمهوريون فى الكونغرس والمحافظون بشكل عام سيتخذون موقفًا- أو على الأقل يعبّرون عن شيء- حيال تجاوز ترامب لهم فى هذا الأمر التنفيذى الخاص بقطر.

والسبب لا يقتصر على أن ترامب يفرض سلطة تُعد تقليديًا من اختصاص مجلس الشيوخ، بل لأنه يمنح ضمانة أمنية لدولة يشكك كثير من الجمهوريين فى نواياها.

وقد اشتكى الجمهوريون على مدى سنوات من انتهاكات قطر المزعومة لحقوق الإنسان، ومن صلاتها بجماعات يصفونها بالإرهابية، بما فى ذلك الإخوان المسلمون وحماس.

وتفاقمت تلك المخاوف فى وقت سابق من هذا العام حينما قبل ترامب بشكل مثير للجدل طائرة قطرية بقيمة ٤٠٠ مليون دولار ستُستخدم فى المستقبل كطائرة رئاسية جديدة.

وقال السيناتور ريك سكوت من فلوريدا حينها: «لن أركب طائرة قطرية، إنهم يدعمون حماس»، وقالت السيناتور شيلى مور كابيتو من فيرجينيا الغربية: «كنت سأفتش عن أجهزة تنصت، هذا ما سأبحث عنه»، أما الناشطة اليمينية لورا لوومر، التى تؤثر على الرئيس، فقد انتقدت الصفقة بشدة واقترحت أن يركز ترامب بدلًا من ذلك على تصنيف الإخوان المسلمين كجماعة إرهابية، وألمح السيناتور تيد كروز من تكساس حتى مساء الثلاثاء الماضي، إلى أن قطر قد تموّل سرًا جماعة «أنتيفا» فى الولايات المتحدة.

وأظهر استطلاع أجرته صحيفة واشنطن بوست وجامعة ماريلاند عام ٢٠٢٣ أن الأمريكيين عمومًا، وحتى الجمهوريين، لديهم نظرة سلبية واضحة تجاه قطر، وكان السؤال فى الاستطلاع قد وُجه فى سياق تزايد انخراط قطر فى عالم الرياضة، وهو ما يسميه المنتقدون «الغسيل الرياضي».

ومن بين الجمهوريين الذين عبّروا سابقًا عن شكوك عميقة تجاه قطر ترامب نفسه، فقد قال عام ٢٠١٧: «إن دولة قطر كانت تاريخيًا مموِلًا للإرهاب على مستوى عال جدًا»، ودعاها إلى «وقف تمويل» «الأيديولوجية المتطرفة»، وقد ترشح ترامب تحت شعار «أمريكا أولًا» وانتقد سابقًا ضمانات الناتو الأمنية

وكان من بين المحافظين الذين انتقدوا الطائرة القطرية المتبرع بها المذيع بن شابيرو، الذى اعتبر الأمر بمثابة قبول «هدايا من أشخاص يدعمون حماس والإخوان المسلمين والجزيرة وكل البقية»، ثم أضاف شابيرو: «هذا ليس ' أمريكا أولًا».

وهنا تكمن المعضلة الأخرى، فالأمر لا يقتصر على صعوبة التوفيق بين منح قطر ضمانة أمنية وبين شكوى ترامب قبل أقل من عقد من أنها تموّل الإرهاب، بل يتعارض أيضًا مع أجندته المعلنة «أمريكا أولًا».

لقد سخر ترامب سابقًا من فكرة الضمانات الأمنية، بل وألمح أحيانًا إلى أن الولايات المتحدة قد لا تلتزم بالمادة الخامسة من معاهدة الناتو، ففى عام ٢٠١٨، اقترح أن اضطرار واشنطن لحماية دولة صغيرة عضو فى الناتو مثل الجبل الأسود قد يؤدى إلى تصعيد يبلغ مستوى «الحرب العالمية الثالثة».

ويُعد هذا أحدث دليل على رئيس بات يتبنى نهجًا عسكريًا متزايدًا، وأصبح أكثر صراحة فى التهديد على الأقل بزج الولايات المتحدة فى صراعات خارجية.

إدخال أمريكا إلى برميل بارود

هذه الضمانة الأمنية تأتى أيضًا فى منطقة شديدة الاشتعال، فترامب يتعهد بالدفاع عن دولة شنّت إسرائيل ضربات عليها قبل أقل من شهر، استهدفت فيها قادة حماس فى الدوحة، وتعرضت لضربة من إيران قبل أقل من ثلاثة أشهر، وقد وجدت قطر نفسها مرارًا متورطة فى صراعات الشرق الأوسط.

وفى عام ٢٠١٧، كانت قطر فى قلب أسوأ أزمة دبلوماسية يشهدها الشرق الأوسط منذ عقود، حينما قطعت دول كبرى علاقاتها بها متهمة إياها بدعم الإرهاب وزعزعة استقرار المنطقة.

هناك أسباب جيوسياسية للحفاظ على تحالف وثيق مع قطر، وقد أدركت ذلك إدارات جمهورية وديمقراطية على حد سواء فى السنوات الأخيرة، كما لعبت قطر دورًا محوريًا فى محاولات ترامب لإبرام اتفاق سلام فى غزة، فقد قدّم ترامب هذا الأسبوع خطته المكونة من ٢٠ نقطة لتحقيق السلام فى القطاع، والتى لم تتضمن بندًا كان موجودًا فى نسخة سابقة ينص على أن إسرائيل لن تهاجم قطر، لكن خطوة ترامب لا تقتصر على صياغة علاقة أوثق وأكثر اثارة للجدل، بل تصوغها فى منطقة قد يُطلب فيها من الولايات المتحدة الوفاء بهذا الوعد بالفعل.

روابط شخصية لترامب

كما تعيد هذه الخطوة إلى الواجهة الروابط المثيرة للجدل بين ترامب وعائلته من جهة، وقطر من جهة أخرى، الدولة التى سعت بوضوح إلى استمالة الرئيس وكسب وده.

ويعد قبول الطائرة القطرية أمرًا بالغ الحساسية، نظرًا لأن ترامب صرّح بأن الطائرة الفاخرة ستُنقل إلى مكتبته الرئاسية بعد انتهاء ولايته، بدلًا من أن تبقى فى خدمة الحكومة الأمريكية.

وأعلنت منظمة ترامب فى ابريل الماضى عن خطط لإنشاء منتجع غولف يحمل اسم ترامب فى قطر، بدعم من شركة مدعومة من صندوق الثروة السيادى القطري.

كما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز قبل أسبوعين أن صفقة ترامب المثيرة للجدل ببيع شرائح متقدمة من الذكاء الاصطناعى للإمارات تزامنت بطريقة مثيرة للشبهات مع صفقة مربحة للعملات المشفرة مع الإماراتيين.

لقد خلط ترامب وأعماله الخاصة بشكل واضح بين شؤون الدولة والمصالح الشخصية فى الشرق الأوسط، وقد نفى البيت الأبيض وجود أى تضارب فى المصالح لصحيفة التايمز، مؤكدًا أن المفاوض الأساسي، ستيف ويتكوف، «يعمل مع مسؤولى الأخلاقيات والمستشار القانونى لضمان الامتثال الكامل للقوانين»، لكن الامر التنفيذى المتعلق بقطر يثير أسئلة عديدة، بعضها يتعلق بالروابط بين الفوائد الشخصية المحتملة والإجراءات الحكومية الرسمية.

لقد قامت قطر بمنح ترامب هدايا استثنائية، والآن يبدو أنه منحها هدية مماثلة فى المقابل.

تحليل: هل استهانت إسرائيل بعمق العلاقات الأميركية القطرية؟



واشنطن بوست

دخلت العلاقة بين الولايات المتحدة ودولة قطر الصغيرة فى الخليج مرحلة جديدة الأسبوع الماضي، فقد قدّم الرئيس دونالد ترامب يوم الاثنين الماضى ضمانات أمنية لقطر، بما فى ذلك التزامًا بالرد السريع على أى "عدوان خارجي"، وهو مستوى من الدعم عادة ما يقتصر على أقرب حلفاء واشنطن.

وينص الأمر التنفيذى بوضوح على أن "الولايات المتحدة ستعتبر أى هجوم مسلح على أراضى أو سيادة أو بنية قطر التحتية الحيوية تهديدًا للسلام والأمن فى الولايات المتحدة"، ويضيف: "فى حال وقوع مثل هذا الهجوم، ستتخذ الولايات المتحدة جميع الإجراءات القانونية والملائمة، بما فى ذلك الدبلوماسية والاقتصاد، وإذا لزم الأمر، القوة العسكرية، للدفاع عن مصالحها وعن مصالح دولة قطر واستعادة السلام والاستقرار».

لقد جاءت هذه الخطوة بعد الضربة الإسرائيلية المفاجئة على الدوحة فى التاسع من سبتمبر، والتى أصابت حيًّا سكنيًا وأودت بحياة ستة أشخاص، من بينهم مواطن قطري، رغم أنها لم تُصب أهدافها المقصودة والتى كانت مسؤولى حماس المقيمين فى قطر.

وقد كانت دول الخليج الحليفة لواشنطن تفترض أن وجود القواعد الأمريكية على أراضيها كفيل بردع أى تهديدات، غير أن هذا التصور بدأ يتغير مع ما يبدو من استعداد إسرائيل لتنفيذ ضربات غير متوقعة.

وكتب جورجيو كافييرو، الأستاذ المساعد فى جامعة جورجتاون، فى مقال لمجلس الأطلسي: "فى الوقت الذى تسعى فيه كل من الممالك الست إلى تنفيذ أجندات طموحة للتنمية الاقتصادية وتنويع مصادر الدخل، أصبح الاستقرار الإقليمى مسألة استراتيجية مشتركة حيث يعتمد جذب المستثمرين وقادة الأعمال والسياح على الحفاظ على بيئة آمنة، ليس داخل حدودهم فحسب، بل فى المنطقة الأوسع، ومن وجهة نظر الخليج، تلقى تصرفات إسرائيل بظلال طويلة على جدوى هذه الرؤى للتحول الاقتصادي».

ويرى الخبراء أن ترامب، الذى يقدم نفسه كصانع صفقات فى الشرق الأوسط، قد يواجه تبعات الضربة الإسرائيلية لفترة طويلة.

ويقول باتريك ثيروس، السفير الأمريكى السابق فى قطر بين عامى ١٩٩٥ و١٩٩٨: "لا أعتقد أن ترامب أدرك مدى خطورة ما حدث، أو حجم الضرر الذى ألحقه به الإسرائيليون. لقد وضعوه فى موقف بالغ الصعوبة».

ومع ذلك، فإن الأمر التنفيذى لا يرقى إلى مستوى اتفاق دفاع مشترك على غرار حلف الناتو، إذ لم يتم التصديق عليه من قبل مجلس الشيوخ، وبالتالى فهو غير ملزم، ولن يكون على الرؤساء المستقبليين الالتزام به، لكن رغم هذه القيود، يمنح القرار قطر ضمانات كانت جاراتها الخليجيات تسعى إليها منذ سنوات طويلة.

لقد أدّت قطر دورًا محوريًا، وإن بهدوء، فى السياسة الخارجية الأمريكية بالشرق الأوسط على مدى الأعوام الماضية، فقد استضافت الدوحة مكتبًا سياسيًا لحركة حماس منذ عام ٢٠١٢، فى خطوة قالت السلطات القطرية إنها جاءت بطلب صريح من الولايات المتحدة، ليكون المكتب قناة تواصل غير مباشرة لخدمة المفاوضات.

كما كانت قطر، قبل وساطتها فى وقف إطلاق النار فى غزة، جسرًا حيويًا بين واشنطن وطالبان، خلال مفاوضات السلام الخاصة بأفغانستان وكذلك أثناء عمليات الإجلاء فى عام ٢٠٢١. كما ساعدت فى تسهيل عمليات تبادل الأسرى بين روسيا وأوكرانيا فى عام ٢٠٢٣، كما كانت الدوحة الوسيط الذى أبرم صفقة تبادل أسرى بين الولايات المتحدة وإيران.

ولم يجلب الدور الكبير الذى تؤديه هذه الدولة الصغيرة دائمًا الإشادة، حتى داخل الولايات المتحدة نفسها، ولا سيّما بين المحافظين الأمريكيين، فقد جاء فى افتتاحية صحيفة وول ستريت جورنال أن "من الإنصاف القول إن قطر تلعب على الحبلين"، مضيفة أن الدوحة "بعيدة كل البعد عن الصورة التقليدية لدولة تتلقى ضمانات أمنية من الولايات المتحدة".

وأضافت الافتتاحية: "فى عصر تتصاعد فيه المنافسة بين القوى الكبرى، قد تجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة إلى التعامل مع دول غير مرغوبة فيها. لكن هذه الخطوة تُعد كبيرة للغاية، ونتساءل عمّا إذا كان الانعزاليون على الإنترنت، الذين يصابون بالذعر من دعم الولايات المتحدة لإسرائيل ضد أعداء مشتركين، سيقولون شيئًا الآن عن التزام واشنطن بالدفاع عن قطر، وربما خوض حرب من أجلها».

كما يتهم بعض المنتقدين هذه الدولة الغنية بالنفط بمحاولة التأثير بشكل خفى على السياسة الأمريكية، فقد كانت قطر هى من أهدت ترامب طائرة فاخرة من طراز بوينغ ٧٤٧-٨، ما أثار عاصفة سياسية؛ إذ وصفها منتقدون بأنها "رشوة"، بينما حذّر آخرون من أنها قد تشكّل خرقًا للدستور الأمريكي، حتى إن بعض الجمهوريين عبّروا عن قلقهم. كما ارتبط اسم قطر بصفقات مالية مربحة كان يفاوض بشأنها بعض المقربين من ترامب، فقد كشفت صحيفة نيويورك تايمز أن نجل مبعوث ترامب إلى الشرق الأوسط، ستيف ويتكوف، سعى للحصول على تمويل من دول الخليج، بما فى ذلك قطر، فى الوقت الذى كان فيه والده يلتقى الوسطاء القطريين بشأن وقف إطلاق النار فى غزة.

ويقول ريتشارد باينتر، المستشار القانونى للأخلاقيات فى البيت الأبيض خلال إدارة الرئيس جورج بوش الابن: "يسمح قانون الهدايا والزخارف الأجنبية الذى أقرّه الكونغرس ببعض الهدايا، مثل تلك التى لا تتجاوز قيمتها ٤٨٠ دولارًا أو الهدايا البروتوكولية، لكنه بالتأكيد لا يشمل طائرة من طراز ٧٤٧».

لكن ترامب لم يكن يومًا من النوع الذى يتجنّب مظهر تضارب المصالح، ويرى بعض المحللين أن الصفقات المشبوهة بين ترامب والقطريين ربما أثّرت على قراره بمنح الدوحة الضمان الأمني، إضافةً إلى دورها التاريخى كوسيط.

وكتب المحلل العسكرى الإسرائيلى رون بن يشاي: "تعهّد قطر بعشرات المليارات من الدولارات فى صفقات تجارية خلال زيارة ترامب الأخيرة إلى الدوحة، وجهودها فى الوساطة بين الولايات المتحدة وإسرائيل وحماس، ودعمها لخطة من ٢٠ نقطة لإنهاء حرب غزة وتعزيز الاستقرار الإقليمي، كل ذلك كان له أثر كبير»، وأضاف: "إذا نُفذت هذه الخطة، فقد تضع ترامب فى موقع المرشّح المحتمل لجائزة نوبل للسلام». ويبدو فى ضوء ما تقدم أن قرار إسرائيل بضرب الدوحة قد قلّل من شأن الروابط العميقة بين الولايات المتحدة وقطر، فخلال يوم الاثنين، وبناءً على ما يبدو أنه طلب مباشر من ترامب، اتصل رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو بنظيره القطرى لتقديم اعتذار رسمى عن الضربة.

وقال نتنياهو لرئيس الوزراء القطرى بينما كان ترامب ممسكًا بجهاز الهاتف فى حجره: "إسرائيل لا تنوى انتهاك سيادتكم مرة أخرى فى المستقبل، وقد قدّمت هذا التعهّد للرئيس».

لكن هذا المشهد المهين كان يمكن تجنّبه، إذ أعرب جهاز الاستخبارات الإسرائيلى الموساد عن اعتراضه على تنفيذ الضربة، محذرًا من أنها قد تضر بعلاقاته الحساسة مع القطريين.

وقال أحد الإسرائيليين المطلعين على موقف الجهاز: "يمكننا الوصول إلى هؤلاء القادة بعد عام أو عامين أو حتى أربعة أعوام، والموساد يعرف كيف يفعل ذلك. فلماذا الآن؟"

قد تصاب قطر بخيبة أمل رغم تعهد ترامب بحمايتها

فايننشال تايمز البريطانية

تعهد الرئيس الأمريكى دونالد ترامب، فى أمر تنفيذي، بضمان أمن قطر واعتبار أى هجوم على الدولة الخليجية تهديدًا لـ "السلام والأمن القومى للولايات المتحدة».

تأتى هذه الخطوة بعد ثلاثة أسابيع فقط من الهجوم الصاروخى الإسرائيلى على الدوحة، الذى استهدف القادة السياسيين لحركة حماس وأثار صدمة فى دول الخليج الغنية بالنفط، والتى اعتادت تقليديًا أن تنظر إلى واشنطن بوصفها الضامن لأمنها.

وقد انخرطت قطر أيضًا لفترة وجيزة فى الحرب التى استمرت ١٢ يومًا بين إسرائيل وإيران فى يونيو الماضي، حينما أطلقت طهران وابلًا من الصواريخ على قاعدة أمريكية قرب الدوحة ردًا على مشاركة ترامب إسرائيل فى قصف المواقع النووية الرئيسية للجمهورية الإسلامية.

ونصّ الأمر التنفيذى على أن الولايات المتحدة سترد على أى هجوم ضد قطر عبر اتخاذ جميع «الإجراءات القانونية والملائمة — بما فى ذلك الدبلوماسية والاقتصادية، وإذا لزم الأمر العسكرية — للدفاع عن مصالح الولايات المتحدة ودولة قطر».

وتُعد قطر حليفًا قديمًا للولايات المتحدة، فهى تستضيف أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى المنطقة، وتملك استثمارات ضخمة فى الأصول الأمريكية، وتُعد من كبار مصدرى الغاز الطبيعى المسال، كما تضغط الدوحة على حركة حماس لقبول خطة ترامب لإنهاء الحرب فى غزة، وهى الخطة التى أعلنها الرئيس يوم الاثنين.

ووصف إليوت أبرامز، الدبلوماسى الأمريكى السابق الذى عمل خلال الولاية الأولى لترامب، هذا القرار بأنه «خطوة غير اعتيادية للغاية»، وقال: «هذا يعادل معاهدة دفاع مع قطر من النوع الذى أبرمته الولايات المتحدة مع اليابان وكوريا الجنوبية، أو المادة الخامسة من معاهدة الناتو. لكن تلك الالتزامات أُبرمت بمعاهدات وصادق عليها مجلس الشيوخ».

وأضاف: «أما هنا، فهذا التزام اتخذه الرئيس من دون أى نقاش علنى أو جدل أو حتى مشاورات مع الكونغرس، فضلًا عن عدم وجود موافقة».

لقد أثار هجوم إسرائيل فى التاسع من سبتمبر، الذى استهدف مكتب حماس السياسى فى حى تجارى وسكنى فى الدوحة، تساؤلات فى الخليج حول مدى التزام الولايات المتحدة بأمن حلفائها العرب.

وقال ترامب إنه «غير راض إطلاقًا عن كل جانب» من الضربة، فى انتقاد نادر لرئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو.

وقد صنّف الرئيس السابق جو بايدن قطر كـ "حليف رئيسى من خارج الناتو»، وتمكنت الدوحة من أن ترسخ لنفسها دور الوسيط بين الولايات المتحدة وخصومها، بما فى ذلك إيران وحركة طالبان فى أفغانستان، كما استضافت المكتب السياسى لحماس منذ أكثر من عقد بمباركة أمريكية، ولعبت دورًا محوريًا فى جهود الوساطة لإنهاء الحرب المستمرة منذ نحو عامين بين إسرائيل وحماس.

واعتذر نتنياهو لرئيس الوزراء القطرى الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثانى عن الهجوم على الدوحة وانتهاك سيادة الدولة الخليجية خلال مكالمة هاتفية ثلاثية رتبها ترامب يوم الاثنين.

وقالت دانا سترول، المسؤولة السابقة فى وزارة الدفاع الأمريكية، إن القرار بعث برسالة سياسية قوية تؤكد التزام إدارة ترامب تجاه قطر، كما شكّل فى الوقت نفسه تحذيرًا لإسرائيل، لكنها أضافت: «لا تساوى قيمة الامر التنفيذى أكثر من كلمة الرئيس، التى تتغير كل ساعة.»

وتابعت: «إن الامر التنفيذى فضفاض وغامض إلى درجة أن الخطر يكمن فى أن القادة القطريين قد يرفعون سقف توقعاتهم بشأن ما قد تكون الولايات المتحدة مستعدة للقيام به، وهو ما قد يُصيب الدوحة بخيبة أمل قريبًا، وقد ينظر آخرون إلى هذا المستوى من الالتزام ويفكرون سريعًا بالمطالبة بالالتزام نفسه، بما يخلق تأثير كرة الثلج.»

المشهد

تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 342 - السنة الرابعة عشر ـ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

لهذا لن ننسى يا إبراهيم



بقلم:
محمد حماد

"ما تقعدش تقولى بقى إيه... إحنا مش هننسى اللى عملوه فى بحر البقر! ليه ما ننساش؟ .. بجد! .. ليه ما ننساش؟"

هكذا يتساءل إبراهيم عيسى، بنبرة أرادها ساخرة، لكنها تفتح بابًا خطيرًا: باب النسيان. كأن التذكّر صار عبئًا، وكأن الذاكرة الوطنية تُعامل كعاطفة زائدة يجب استئصالها.

أقول لك يا إبراهيم لماذا لا ولن ننسى؟

أولًا، لأن الحرب ما زالت قائمة، ما زالت إسرائيل تقصف غزة، وتدك سوريا، وتستبيح لبنان، وتقتل فى الضفة. وتدير أشرس وأقذر حرب إبادة فى غزة؟

ألا يكفيك هذا لكى لا تنسى؟

كيف يُطلب منا أن ننسى والعدو نفسه مستمر فى جرائمه؟ مجزرة بحر البقر لم تكن إلا فصلًا من كتاب دم مفتوح إلى اليوم، كتاب لا يريدون لنا أن نقرأه، ولا أن نُعلّمه لأطفالنا، ولا أن ندوّنه فى وعينا.

ثانيًا، لأن إسرائيل نفسها لا تنسى. لا تنسى روايتها عن التاريخ، ولا تنسى ما تعتبره "حقوقًا" فى أرض ليست أرضها، ولا تنسى ما تسميه "أرض الميعاد" استحضروا ذاكرة مزيفة ليصنعوا منها واقعًا أكثر تزييفًا.

ذاكرة مزيفة ليصنعوا منها واقعًا أكثر تزييفًا

كيف تطلب ـ يا إبراهيم ـ من الضحية أن تمحو ذاكرتها بينما الجلاد يعيش ويتحرك ويقاتل من ذاكرته المصنّعة؟

كيف تطلب منّا أن نُفرّط فى الذاكرة بينما الآخر يُقاتل بها، يُفاوض بها، يُشرعن بها اغتصابه للأرض والتاريخ؟

ذاكرتنا ليست ترفًا، بل سلاحًا. والنسيان ليس حيادًا، بل بداية استسلام. ومن يطالبنا بالنسيان، لا يخدم الحقيقة، بل يخدم من يخشون الحقيقة.

"ليه ما ننساش؟"، هذا ليس مجرد استفهام بريء، بل محاولة لتفريغ الذاكرة الوطنية من معناها، وتحويلها إلى عبء عاطفى يُستحسن التخلص منه.

هذا النوع من الخطاب لا يُعيد النظر فى التاريخ بصدق، بل يُعيد إنتاج منطق التبرير، ويُمهّد لتطبيع النسيان.

الذاكرة الوطنية ليست حائط مبكى، بل جدار مقاومة. وهى ليست مجرد سرد، بل موقف.

إن من يطالبنا بالنسيان، يطلب ضمنًا أن نُساوم على الدم، أن نُعيد كتابة التاريخ بأقلام المعتدين، أن نُفرّط فى الحق مقابل راحة زائفة. لكننا نعرف أن النسيان لا يُفضى إلى السلام، بل إلى إعادة إنتاج الظلم فى صور جديدة.

لن ننسى. لأن التذكّر فعل مقاومة، ولأن الذاكرة ليست عبئًا على الحاضر، بل بوصلته. والنسيان توهة.

وبالمناسبة، إبراهيم عيسى لن ينسى هو الآخر... لا ينسى أنه بات خارج الأضواء، يعيش مأساة الظل التى لا تُحتمل وطأته فبعد أن اعتاد أن يكون فى قلب المشهد، صار يختنق فى الهامش، ويبحث عن فتات الضوء بأى ثمن. ولهذا سيظل يشاغب، ويطرح كل غريب ومستهجن، لا لعمق الفكرة بل لشدّ الأنظار، وتضييق مساحة الظل الذى لم يألفه بعد. فالمشكلة لديه ليست فى تغييب الذاكرة، بل فى غياب الكاميرا.

رفع كالمسيح !!



بقلم السفير/ معصوم مرزوق

مساعد وزير الخارجية الأسبق

ظهر ٢٣ اكتوبر ١٩٧٣ .. لم نتمكن من دفن العريف جابر يواقيم .. كانت دبابات العدو تطبق من كل الاتجاهات علي موقع الكمين فضلاً عن قصف مدفعية شديد .. كان من الواضح ان العدو جن جنونه بعد ان ظن شارون ان الطريق مفتوح للدخول الي السويس .. كل ما تمكننا ان نفعله هو ان وضعنا جثمان جابر في بطانيتين ، وكنا علي وشك الانتهاء من الحفرة التي سنواريه فيها حين اقتربت بشكل خطير سيارة العدو المدرعة م ١١٣ كي يقوم بأسرنا .. كانت الذخيرة قد نفذت .. انسحبنا وتركنا جثمان جابر فوق الأرض ..

خلال الايام التالية كنت استعيد ذكرياتي مع كل الشهداء من رجالي ، وكان الألم يعتصرني كلما تذكرت اننا لم نواري جابر الثري ..

كتبت بنفسي شهادات استشهاد الرجال حتي تتمكن اسرهم من صرف التعويضات.. وهي مسؤولية كبيرة خاصة بالنسبة للمفقودين لأسباب تتعلق بالميراث وعلاقات أسرية اهمها الزواج .. وقد كتبت شهادة استشهاد جابر لأنني رأيته في بحيرة من دمه ، وعندما كنا نضعه في البطاطين لم تكن به اي علامة للحياة ..

كنت قد أصبت في ساقي اليسري، وجلست في ملجئي بعد وقف إطلاق النار أستعيد ذكريات الشهداء ، وتذكرت متبسماً وأنا استرجع بعض ذكرياتي مع جابر حكاياته مع الملاكمة ، فقد كنت أدرب فريق الملاكمة لمجموعة الصاعقة في الجيش الثالث (لأنني لعبت ملاكمة في شبابي) ، وكان وزن الثقيل غير متوفر ، فأقنعت جابر بصعوبة ان ينضم للفريق كي يلعب لهذا الوزن، وكانت مشكلته انه كان يهوي حمل الاثقال، وذلك كان يقيد حركة ذراعيه الي حد كبير فلا يستطيع أن يحركها بالمرونة التي يتطلبها لاعب الملاكمة، وقد حاولت قبل بدء المباريات دفعه كي يحرك ذراعيه، واثناء التدريب كاد يصيبيني إصابة بالغة حيت قمت باستفزازه وضربه في انفه بتكرار وانا أسخر منه كي يحرك ذراعيه.. ولحسن حظي انحنيت في اللحظة الاخيرة حين انطلق ذراعه الأيمن بقوة في اتجاه وجهي، شعرت وكأن قطاراً يمر من فوق راسي، وعبثاً حاولت إيقافه وهو مصمم علي مواصلة اللعب بين صياح وضحك ضباط وجنود الكتيبة ..

كانت المباراة الأولي لنا مع قوات الدفاع الجوي، وقد طمأنت القائد بأن الانتصار مضمون، فنحن صاعقة علي كل حال.. ولكن فوجئنا بالمستوي الراقي لملاكمي الدفاع الجوي، وقبل ان نصل للوزن الثقيل الاخير كنا متعادلين (كسبت أنا الوزن الذي كنت العب فيه وهو المتوسط) ، وبالتالي اصبح انتصارنا وإنقاذ سمعة الصاعقة، وسمعتي أمام القائد مرهون بانتصار جابر في آخر الأوزان التي ستلعب في تلك الليلة ..

وقبل أن يصعد للحلبة فوجئت به يقول لي أنه سمع أن اللاعب الذي سيلاعبه هو بطل الدقهلية في الملاكمة. وكان خصمه قصير القامة ولكنه ضخم الجثة بشكل مخيف، في حين ان جابر طويل القامة ممشوق القوام .. طمأنته بان ما يقال مجرد شائعات من الدفاع الجوي لتخويفه، ووعدته بناء علي طلبه أن القي الفوطة علي الحلبة كي أسحبه اذا تبين عجزه عن مواصلة اللعب ..

ومع بداية المباراة انقض ملاكم الدفاع الجوي بمجموعات مستقيمة في ضلوع وذقن جابر الذي بدا يترنح وأنا أصرخ فيه كي يمد ذراعيه ويضرب .. كان كلما اقترب من الحبال يهمس لي "ارمي الفوطة يا أفندم"، وبالطبع كان ذلك مستحيلاً، فلا يجوز لمقاتل الصاعقة أن يترك المعركة، ويبدو أن ضربة قوية في أمعائه حولته إلي مجنون، فقد انقض غاضباً يركل خصمه ويصارعه بحركات الإشتباك، دون أن يستجيب لأوامر الحكم أو لصراخ قائد الدفاع الجوي، بل انه انطلق خلف خصمه الذي ترك الحلبة مذعوراً وهو يجري...

وكانت مشكلة كبيرة، حيث تم شطب كل نتائجنا، وغضب قائدي مني.. كانت فضيحة .. لأن عساكرنا أيضاً في الجمهور هجموا علي عساكر الدفاع الجوي.. ففي عرف الصاعقة الهزيمة مرفوضة (ولا روح رياضية ولا دياولو) ..

وأصبحت رواية مضحكة نحكيها، حتي حدث ما حدث في الحرب، فصارت لدينا حكاية أخطر .. ولقد كتبت ونشرت كل هذه الذكريات بعد الحرب ..

بعد أشهر من انتهاء الحرب وبدء عملية تبادل الأسري، كانت كتيبة الصاعقة قد عادت من الجبهة واحتلت مواقعها في الجبل الأحمر ، وبينما كنت أراجع بعض الأوراق في خيمتي شعرت بظل عملاق يحجب الشمس وهو يزيح كنار الخيمة قائلاً : "كده يا أفندم تسيبوني وتمشوا ؟" .. كان صوته.. التفت لأجده هو بشحمه ولحمه "جابر يواقيم"، نهضت كي اعانقه مذهولاً .. اختلطت دموعي بدموعه .. وجلسنا نستعيد كل شيء ..

كانت تلك واحدة من المعجزات الكثيرة في هذه الحرب، لأنه لم يكن به أي نبض فعلاً حين تركناه، وكان قد أصيب بطلقة نصف بوصة ونزف كثيراً أثناء اشتباكنا مع الدبابات .. وبعد ان ابتعدت الدبابات إثر خسائرها أمام الكمين.. تمكنا من دفن محمد السيد والسيد سلطان ورضوان، وكان جابر علي حافة الكمين البعيدة، لذلك كان الأخير ..

لقد نقله العدو بطائرة هليكوبتر ظناً منهم ان ذلك الشاب المتعضل الوسيم الذي يرتدي اوفارول الصاعقة المموه هو قائد تلك المجموعة التي كبدتهم ٣ دبابات في منطقة كانوا لا يتوقعون فيها مقاومة ..

لقد أجروا له عمليات دقيقة ونقل دم وبدأوا في استجوابه ولم يصدقوا ابداً أنه عريف في الصاعقة.. اما كيف لم نكتشف نحن أنه حي، فلا بد أن تتخيل الوضع الذي كنا فيه ، حصار وقصف من كل اتجاه ، دخان وغبار وصراخ المصابين .. ولقد أمسكت بشريان رقبته بيدي .. لم يكن هناك نبض .. ولو انتظرنا ثانية واحدة لكنا قد وقعنا جميعاً في الأسر ..

كنت أداعبه بعد ذلك دائماً بأنه " رفع كالمسيح " .. فكان يضحك من كل قلبه ، متمتماً في خجل وورع : "أستغفر الله" ..

حين يطالب الكيان بنزع سلاح الجيوش!



بقلم:
معوض جودة

يظهر الكيان فى حربه على قطاع غزة توحشا، كانت الأجيال التى لم تعاصر حروب مصر معه أوشكت على نسيانه؛ غير أن ما يدور الآن فى المنطقة، ذكر العالم بحقيقته الاستعمارية التوسعية.

كانت أبواق الكيان وأذرعه الإعلامية والسياسية فى شتى أنحاء العالم، تعمل ليل نهار على تجميل صورته، وتصدير ديمقراطيته باعتبارها الواحة الخضراء، وسط صحراء العالم العربى القاحلة، والغارقة فى بحر الجمهوريات الديكتاتورية، والملكيات الفاسدة.

كان واقع العالم العربى أغنياءه وفقراءه يؤول من سيء إلى أسوأ؛ حتى أتى طوفان الأقصي؛ ليكشف لنا ما حاول الكيان وعملاؤه اخفاءه عن أعيننا، فتبدى للناظرين عاريا من كل قيمة إنسانية وحضارية.

كشفت الهجمات الدامية من قبل الاحتلال الغاشم على كافة الأطراف، عن جزء من طبيعته العنصرية؛ فبدءا من المعتقد الديني، حيث يرى الكيان نفسه شعب الله المختار، وكل العالم مسخر لخدمته، مرورا بالعنصرية السياسية والاقتصادية، وتخريب العالم سواء بالانحلال الأخلاقى أو الفساد السياسي، لا تتورع الصهيونية عن أى عمل يفتت قوى العالم بأسره. كشفت المواجهات العسكرية المباشرة مع إيران عن عجز مدو لقوات الاحتلال؛ فبدا الاختباء خلف واشنطن، وتم استدعاؤها على عجل، لتنقذ حكومة وشعب الكيان العنصرى من الضربات الإيرانية.

أتى طوفان الأقصي؛ ليكشف لنا ما حاول الكيان وعملاؤه اخفاءه عن أعيننا

مع توقف المواجهات الاسرائيلية الإيرانية بعد إثنى عشر يوما من الضربات المباشرة بين الجانبين، تطالب تل أبيب وحلفاؤها بتقليم أظافر طهران، وتدمير مشروعها النووي، ولو استسلمت إيران لتلك المطالب الغربية الأمريكية؛ فسيأتى الدور على برنامجها الصاروخى الذى زلزل قلب تل أبيب.

عاد الكيان ليعمل آلة القتل والبطش ضد المدنيين فى القطاع وعناصر المقاومة محدودة التسليح بعد انتهاء المواجهة مع طهران، أملا فى استرداد بعض هيبته باعتباره الجيش الذى لا يقهر.

وعلى الصعيد الإقليمي؛ رغم تعرض حزب الله لضربات قاتلة، ومدمرة؛ جراء الاختراق الأمنى لصفوفه من قبل العدو، وتوقف الحزب عن القيام بعمليات ضد المحتل؛ لم تتوقف مطالب العدو ومن خلفه حليفه الأكبر الولايات المتحدة بنزع سلاح حزب الله؛ ليصبح لبنان كله مستباحا.

كذلك يطالب العدو بنزع سلاح حركة المقاومة الإسلامية "حماس"؛ رغم بدائية هذا السلاح، ومشروعيته المقاومة للاحتلال، وكذلك يصر على اخراج عناصر الحركة من القطاع المبارك.

يعكس سلوك العدو العنصرى قلقا من أى سلاح يمتلكه الجانب العربي، والإسلامي؛ لذلك لا نستبعد مستقبلا، أن تنتقل مطالب الكيان بالإشراف على أسلحة جيوش المنطقة؛ خشية وجود سلاح قد يهدده.

إن إصرار العدو على نزع سلاح حركات المقاومة، وجعل بلدانها عارية فى المواجهة، يظهر فى حقيقته ضعف وهشاشة ذلك الكيان؛ الذى يبدو كالهر يحاكى انتفاخا صولة الأسد.

خلاصة الأمر؛ أنه ينبغى على صناع القرار؛ وقادة المنظومات الأمنية والعسكرية، إدراك أن نزع سلاح المقاومة، معناه إزالة عدة الغام بدائية من طريق العدو كى يصل إلى ما هو أكبر من حركات المقاومة.

إن الأمن القومى العربى يستوجب بقاء الاحتلال فى حالة استنزاف دائم؛ كى لا يفكر فى التوسع والذهاب بعيدا فى مواجهات مع جيوش نظامية.

ولقد أثبت التاريخ أن حروب العصابات، تكون أكثر شراسة، وإيلاما للعدو؛ مهما كانت قوته، من المواجهات المباشرة مع القوات النظامية؛ ويجب أن تكون تلك القاعدة حاضرة فى الذهن دائما .

ولا نذهب بعيدا إن قلنا؛ إن حركات المقاومة فى المنطقة، تدافع عن كل دول المنطقة فى أكثر لحظاتها ضعفا، ومهانة وانبطاحا للعدو.

حكايات جيل يعيش الحب خارج مظلة الدين والقانون..

المساكنة فى مصر.. بين قدسية الزواج وحرية الجسد





فى قلب المدن المصرية الكبرى حيث يختلط ضجيج الحياة بالبحث المضنى عن الحب والحرية، بدأت ظاهرة المساكنة تشق طريقها خلسة بين جدران مغلقة.. المساكنة أو العيش المشترك بين شاب وفتاة دون رابط قانونى أو دينى لم تعد مجرد فكرة مستوردة من الغرب كما اعتاد الخطاب المحافظ أن يصفها.. بل واقع يعيشه بعض الشباب فى مصر، وإن ظل بعيدا عن العلن..

بينما يرفع الأزهر صوته مؤكدا أن المساكنة زنا صريح لا جدال فيه، وتصر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على وصفها بأنها خطيئة تهدد قدسية الزواج المسيحى ، هناك شباب يختارون أن يسلكوا هذا الطريق بدوافع مختلفة: الحب والرغبة و غلاء المعيشة أو رفض القيود الاجتماعية..

هذا التحقيق لا يكتفى برصد المواقف الدينية، بل يفتح نافذة على قصص حقيقية لأشخاص قرروا أن يعيشوا المساكنة ليكشف عن وجوه إنسانية غالبا ما تحجب خلف عناوين الإدانة والرفض..

اعترافات من خلف الأبواب المغلقة: أصوات خاضت تجربة المساكنة فى مجتمع يرفضها..

القصة الأولى: نرمين..
عامان من الحب فى الخفاء

نرمين (اسم مستعار)، شابة تبلغ من العمر ستة وعشرين عاما من أسرة متوسطة، تحكى قصتها بصوت متردد، كمن يستعيد سرا ظل دفينا لسنوات:

كنت أحب زميلى فى العمل حبا كبيرا.. وكان قد تقدم لخطبتى بالفعل، لكن أهلى اشترطوا شقة وشبكة ونفقات تفوق قدرته، كنت أرى أن انتظاره سنوات يعنى خسارته إلى الأبد، عندها قررنا أن نستأجر شقة صغيرة فى حى شعبى ونتقاسم نفقاتها ونعيش كما يعيش الأزواج، وإن كنا بلا أوراق..

تحكى نرمين تفاصيل حياتها اليومية فى تلك الشقة: كنا نصحو معا كل صباح ونتناول إفطارا بسيطا ونذهب إلى العمل، فى المساء نطهو طعامنا ونشاهد التلفاز ونتحدث لساعات كانت حياتى معه تشبه الزواج بكل تفاصيله، سوى أننى لم أستطع أن أعترف أمام أحد..

لكن خلف هذا الدفء ظل الخوف مقيما:

كنت أعيش دائمًا فى قلق.. كنت أخشى أن يطرق الباب جار فضولى أو أن تشك عائلتى فى غيابى الطويل. ولم أخبر حتى أقرب صديقاتي.. ومع مرور الوقت بدأنا ننهك وفى النهاية تركنى ورحل، تاركا الشقة وحياة كاملة خلفه، شعرت أننى عشت أجمل تجربة وأخطرها فى آن واحد..

القصة الثانية: عمرو.. زواج بلا عقد

عمرو (اسم مستعار) ، شاب فى الحادية والثلاثين.. عاد إلى القاهرة بعد خمس سنوات قضاها فى أوروبا. هناك عرف المساكنة مع زميلة أجنبية لكنه فوجئ بنفسه يعيد التجربة مع فتاة مصرية بعد عودته:

كنت مقتنعًا أن الحياة المشتركة هى الامتحان الحقيقى لأى علاقة، فى الخارج كان الأمر طبيعيا أما فى مصر فكان التحدى أكبر.. أحببت فتاة مصرية واتفقنا أن نعيش معا فى شقة بالتجمع الخامس و لم نكن نرى أننا نفعل شيئا خاطئا فقد كنا نمارس حياتنا كما يفعل أى زوجين لكن من دون عقد رسمي..

يصف عمرو أيامه قائلاً: كانت بيننا كل تفاصيل الزواج، مسؤوليات المنزل ومصاريف الإيجار وخلافات يومية ومشاعر دفء حقيقية.. لكن ظل فوقنا سيف المجتمع والدين.. كنا نعيش فى خوف من أن ينكشف أمرنا أمام العائلة أو الجيران..

انتهت العلاقة بانفصال هادئ بعد ثلاث سنوات.. لكن عمرو يؤكد أنه لم يندم:

المساكنة بالنسبة لى لم تكن خطيئة، بل كانت تجربة حياة كاملة و المشكلة ليست فينا بل فى مجتمع يرفض أن يرى أنماطا مختلفة من الحب..

القصة الثالثة: سارة.. الطالبة التى تحدت الخوف

سارة (اسم مستعار) ، طالبة جامعية فى الثانية والعشرين، وقعت فى حب زميلها فى الكلية.. تقول:

كان أول حب فى حياتى و كنت أشعر أننى أختنق إذا ابتعدت عنه، عندما عرض على أن نعيش معا وافقت فورا، شعرت أنها الطريقة الوحيدة كى نستطيع أن نكون معا بعيدا عن سلطة الأهل..

تروى سارة تفاصيل تجربتها: كنا نستيقظ معا، نذاكر ونتشارك الطعام ونقضى أوقاتنا كما لو أننا أسرة صغيرة، لكن الخوف لم يفارقنى يوما.. كنت أرتعب من فكرة الحمل غير المتوقع ومن مجرد مكالمة هاتفية من أمى تسألنى أين أنا.. وبعد أشهر قليلة انفصلنا بشكل قاس، تاركا خلفه ندبة كبيرة فى قلبي..

القصة الرابعة: ليلى.. حين تحول السر إلى فضيحة

ليلى (اسم مستعار) ، ٢٩ عامًا جاءت من صعيد مصر للعمل فى القاهرة ارتبطت بزميلها وسكنت معه فى شقة صغيرة لمدة عام: كنا نعيش فى سرية تامة ولم يكن أحد يعلم لكن جارا لنا بدأ يشك.. وذات يوم وصلت الحكاية إلى أهلي.. جاء إخوتى وأخذونى بالقوة.. تعرضت للضرب والإهانة وحبست فى البيت عدة أشهر، حياتى انهارت تماما، وفقدت عملى وسمعتى فى لحظة..

اليوم تعيش ليلى وحدها فى شقة صغيرة، لكنها تحمل جرحا عميقا: المساكنة أعطتنى إحساسا بالحرية والحب، لكنها أيضا دمرت حياتى حين انكشفت فى مجتمعنا خطيئة واحدة كفيلة أن تلتهمك بالكامل..

الموقف الديني: رفض لا يقبل النقاش

الأزهر الشريف أصدر فتاوى متكررة تعتبر المساكنة "زنا صريحا" وتؤكد أن الزواج هو الإطار الشرعى الوحيد للعلاقة بين الرجل والمرأة، أما الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فترى أن أى علاقة خارج سر الزواج "خطيئة تهدد قدسية الزواج المسيحي"...

كلا المؤسستين تتعامل مع الظاهرة على أنها دخيلة على المجتمع وترفض مجرد النقاش حول إمكانية تفهم دوافعها أو سياقاتها.

ازدواجية المجتمع

يقول الدكتور سامح عبد الله، الباحث فى علم الاجتماع: المجتمع المصرى يعيش حالة ازدواجية حادة، فى العلن هناك رفض وإنكار وفى الخفاء هناك ممارسات متعددة من المساكنة إلى العلاقات غير الرسمية الظاهرة ليست مجرد نزوة فردية بل انعكاس لأزمات أعمق: البطالة و غلاء المعيشة و ارتفاع تكاليف الزواج وتغير قيم الجيل الجديد..

ويضيف: الشباب اليوم يبحث عن مسارات بديلة، بينما المؤسسات الدينية تكتفى بالتنديد.. النتيجة أن الظاهرة تبقى فى الظل لكن وجودها يتوسع بصمت.

●●●

المساكنة فى مصر ليست مجرد قصة حب فى الخفاء، ولا مجرد انحراف كما يصفها الخطاب الدينى إنها مرآة لواقع مأزوم، حيث تتصارع قدسية الزواج مع حرية الجسد والتقاليد مع تطلعات جيل جديد..

قصص نرمين وعمرو وسارة وليلى تكشف عن وجوه إنسانية تمزج بين الشغف والخوف، بين الأمل والانكسار.

ويبقى السؤال: هل يستطيع المجتمع أن يعترف يوما بوجود أنماط مختلفة من العلاقات؟ أم ستظل المساكنة سرا محاصرا بالخوف والرفض يعيشها شباب فى الظل ويدفعون ثمنها وحدهم؟

تحقيق: مادونا شوقي